سلسلة

الثورة الثقافية

الأهــــداء : ــ

النســــاء ، والرجـــال !!

الشـــابـــات ، والشبـــان !!

هل أدلــكم على ((مطيـــة)) ،

تبلــغ بكم منــازل العــز ، والشرف ــ

عــز الدنيــا ، وشـــرف الآخـــرة ؟؟

اذن فاسمعـــوا !!

هذه ((المطيــة)) ،

ان هـــــى ،

الا الصـــلاة ((الذكية)) ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم ، وابصارهم ، و جلودهم ،بما كانوا
يعملون * وقالوا لجلودهم :لم شهدتم
علينا ؟؟ قالوا : انطقنا الله الذى انطق
كل شيء ، وهو خلقكم ،اول مرة ، واليه
ترجعون * وما كنتم تستترون ان
يشهد عليكم سمعكم ،ولا ابصاركم ،
ولا جلودكم . . ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون *
وذلكم ظنكم ، الذى ظننتم بربكم ،
اردائكم ، فاصبحتم من الخاسرين »

صدق الله العظيم

المقدمة

هذا اول كتاب يصدر من سلسلة :« تعلموا كيف » ، وهى السلسلة التى سنوالى اصدارها حتى نشيع فى الناس الأسلوب العلمى لأنجاز كل عمل يرمى الى خدمة الناس ، والى اخصاب حياتهم ، والى تيسير طرق كسب عيشهم . وهذا الأسلوب العلمى نفسه سيعنى،فى المقام الاول،بخدمة غرض الفرد باعانته على توحيد القوى المودعة فى بنيته ، وذلك بتقريب المسافة بين فكره ،وقوله ، وعمله ، حتى يصبح يفكر كما يريد ، ويقول كما يفكر ، ويعمل كما يقول ، ثم لاتكون نتيجة قوله ، ولا عمله ، الا براً ، وخيرا ، بالأحياء والأشياء .. هذا الكتاب اسمه : « تعلموا كيف تصلون » . . والصلاة أفضل ، وأهم ، عمل العبد ، ذلك بأنها أسرع عمل يفضى الى توحيد البنية البشرية .. وقد تحدثنا عنها فى هذا الكتاب على مستويين : مستوى العمل للمعاد ، ومستوى العمل للمعاش ، وهما ما اسميناهما ، بحضرة « الأحرام » وحضرة « السلام » ..

نحن نعيش اليوم فى اخريات الثلث الأخير من ليل الوقت ، وقد آذن الصبح بأنبلاج .. والثلث الأخير من ليل الوقت ، كالثلث الأخير من ليل اليوم منصوص على مدحه وتفضيله .. فكما أن الثلث الأخير من ليل اليوم برزخ بين الليل والنهار ،

فكذلك الثلث الأخير من ليل الوقت ، فانه برزخ بين الدنيا والآخرة ، وفيه قربت المسافة بين الماضى والمستقبل ، لأنه وقت « اللحظة الحاضرة » اذ فيه يتمكن الأنسان ، بفضل الله ، ثم بفضل تأدبه بأدب الشريعة ، وأدب الحقيقة ، ان يعيش « لحظته الحاضرة » ، غير موزع بين الأسف على الماضى ، ولا الخوف من المستقبل . . وهذا ما ذكرنا أن الصلاة ، بحضرتيها ، موظفة لتحقيقه للمصلى المجود . .

اليوم لم تعد الدنيا والأخرى ضرتين كما كانتا فى الماضى ، وانما هما اليوم شقيقتان ، تختلفان اختلاف مقدار . وتؤدى احداهما للاخرى فورا ، وعلى التو . . ولذلك فانه يجب على العابد ان يترقب الجزاء على عبادته فى التو . . أجر الله على العبادة اليوم « هاك بهاك » . . هذا هو يوم تحقيق : « ادعونى استجب لكم » ، فليس بين العبادة والأستجابة مسافة . . ومعرفة العارفين ، اليوم ، تقول : ان الله أكرم من ان تعامله حاضرا ويعاملك نسيئة . . تعبده اليوم ويؤتيك أجرك غدا فى الآخرة . . ألم يأمر هو فى شريعته بأن نعطى الأجير أجره قبل ان يجف عرقه ؟؟ فكذلك أجر الله على العمل ، فانما هو على الفور ، والتو . . هو « هاك بهاك » . . فان أنت لم تجد ثواب صلاتك ، حين تصليها ، طمأنينة ، وبرد رضا يغمر قلبك ، ويسعده ، فى توه فاعلم ان صلاتك باطلة . ولا تظنن ان أجرك عليها مكتوب فى مكان آخر . . ألم يقل المعصوم ، فى حديثه المشهور ، : « حبب الى من دنياكم ثلاث ، النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » ؟؟ بلى ، قد قال !! « وقرة عينى » يعنى طمأنينة نفسى ، ورضا بالى . . وهذا هو ما عنيناه بأن أجر الله على العبادة المجودة انما هو «هاك بهاك» . . ليس معنى هذا، بالطبع ، انكار الآخرة ، وانما معناه ان الآخرة هنا ، واليوم — فما يكون تمامه هناك ، يبدأ اليوم . . قال تعالى ، فى هذا المعنى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ، عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يوم لا يخزى الله النبى ، والذين

آمنوا معه ، نورهم يسعى ، بين أيديهم ، وبأيمانهم ، يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا ، واغفر لنا .. انك على كل شيء قدير » .. قولهم : « ربنا أتمم لنا نورنا » يشير الى انهم قد بدأت أنوارهم فى الدنيا،وهم انما يطلبون تمامها فى الاخرة..وحكم الوقت يجعل هذه الآية تطالب بمعناها ، فى سرعة تحقيق الأجر ، اليوم ، باكثر مما كان عليه الشأن فى الماضى .. المراد من هذا الحديث ان يحاسب العابد نفسه ليكون على بينة من صحة صلاته..فانه اذا كان المراد من الصلاة هو الرضا بالله ربا،ومدبرا لأمورنا، فانك ،ان أنت صليت ركعتين،وانصرفت من مصلاك ،ولم يكن قلبك أرضى بالله ،منه قبل ان تصلى ، فيجب ان تعلم ان صلاتك باطلة ، وأنها لا تستحق ، ولا تستوجب أجرا ..واحذر ان تظن ان اجرها مكتوب لك فى مكان آخر،تعطاه فى الآخرة .. ولما كانت الصلاة وسيلة الى الرضا فان الرضا هو ايضا وسيلة الى طمأنينة النفس ، وتحرير العقل من الخوف ..وبتحرير العقل من الخوف يتم كمال الحياة.. والى ذلك الأشارة بقوله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ، مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .. ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم ، الى ذكر الله .. ذلك هدى الله يهدى به من يشاء .. ومن يضلل الله فمالله من هاد » ..

كتاب الله ، فى الأصل ، هو الأكوان جميعها .. وهو الانسان ، فى المكان الأول، لان فى الانسان ــ جسمه وعقله ــ اجتمعت آيات الظاهر ، وآيات الباطن .. يقول تعالى ، فى ذلك : « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟؟ »

جسم الأنسان هو كتاب الله .. والقرآن ، المحفوظ بين دفتى المصحف ، والمقروء باللغة العربية ، انما هو صورة لفظية ، وصوتية ، وعلميه ، لهذا الكتاب العظيم .. و « المثانى » ، فى هذا الكتاب العظيم ، انما تعنى الزوجين .. قال تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين ، لعلكم تذكرون » .. وأعلى الزوجين النفسان : نفس الرب ، ونفس العبد الكامل .. كما أن « المثانى » فى القرآن تعنى : المعنى

البعيد عند الرب ، والمعنى القريب الذى تنزل ، وتدنى ، لتفهيم العبد ..

ثم قال : « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » ، اشارة الى الخوف « العنصرى » الذى جاء به الكتاب الأول ، هذا الخوف الذى حجر الجلد ، وكثفه ، وجعله درعا واقيا للحى .. هذا فى المكان الأول .. ثم هو ، فى المكان الثانى ، اشارة الى هذا الخوف « العرفانى » الذى جاء به القرآن فى وعيده .. وهو الخوف المشار اليه بالعبارة الحكيمة : « رأس الحكمة مخافة الله » .. ثم قال : « ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم ، الى ذكر الله » .. وانما يجىء لين الجلود بطمأنينة النفس ، بعد انقباضها بفعل الخوف .. وما طمأنينة النفس الا نتيجة العلم بالله .. قال : « الى ذكر الله » .. هذا فى هذه الآية .. بعد أن قال : « لعلكم تذكرون » فى تلك .. عنى لعلكم تذكرون انكم عبيد ، وان الله ربكم .. وهذا اقرار قد شهدتم به ، واذعنتم له ، فى عالم الأرواح ، ولكنكم نسيتموه فى عالم الأجساد .. وانما مقصود القرآن ان يذكركم ما نسيتم . هذه هى وظيفة القرآن : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟؟» وعن ذلك الأقرار الذى نسيناه ، وهو مطلوب منا اليوم ، ودائما ، جاء قوله تعالى : « واذ أخذ ربك من بنى آدم ، من ظهورهم ، ذريتهم ، وأشهدهم على انفسهم : ألست بربكم ؟؟ قالوا : بلى !! شهدنا !! ان تقولوا ، يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ❊ أو تقولوا : انما اشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟؟ ❊ وكذلك نفصل الآيات ، ولعلهم يرجعون » .. انما جاء القرآن يرسم لنا طريق الرجوع الى هذا العهد الذى شهدنا فيه بعبوديتنا ، وربوبية ربنا . الغرض من شهادة : « لا اله الا الله » ، التى وظف القرآن لتحقيقها ، انما هو ان تسوقنا الى هذه الشهادة « وأشهدهم على انفسهم : ألست بربكم ؟؟ قالوا : بلى !! شهدنا !! » فاذا تمت لنا هذه الشهادة ، بأن تذكرناها حق التذكر ، يتم لنا قوله تعالى : « ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم ، الى ذكر الله » .. ولين الجلود والقلوب انما يعنى أتساع حياة الفكر ، وحياة الشعور ، وتلك هى الحياة الكاملة .. فلين القلوب ، والجلود يعنى

انتشار وظيفة « الأحساس » فى الجسم كله ، بدلا من تمركزه فى مواضع بأعيانها من الجسم ، هى الحواس الخمس المعروفة .. وقد تحدثنا عن ذلك فى مقدمة كتابنا « رسالة الصلاة » فليراجع ..

المهم عندنا ، هنا الآن ، هو الجسم البشرى ، وجوارحه وأعضاؤه .. ولقد صدرنا هذه المقدمة بآيات تدل على ان اعضاءنا مسئولة ، وأنها تشهد علينا بما نفعل فى هذه الحياة ،وان شهادتها مقبولة عند الله ،وفى شريعة الله لا تقبل الا شهادة العدول . يقول تعالى : « وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله » .. يقول تبارك ،وتعالى :« وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ، ولا أبصاركم، ولا جلودكم ،ولكن ظننتم: أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون» ثم هو يقول ،بعد هذه الآية الغريبة حقا ، يقول : « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم . أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » ..

والحقيقة التى يجب ان نعلمها ،لنخرج من هذا الظن الفاسد ،الذى جلب علينا الخسران ، هى ان كل ذرة من ذرات أجسادنا انما هى مشروع انسان كامل ، ومسئول ، له عقل ، وله قلب ، وله جسد ــ هو نموذج مصغر منا .. وهذا كلام غريب !! ولكننا لا نقف عنده الآن ، وانما يكفينا ان نعلم ان حواسنا ، وجوارحنا ، مسئولة .. ونحن ، عن تهذيبها ، وعن تعليمها ، وعن تسديدها ، مسئولون .. وهذا ما من اجله أوردنا لك هيئة الوضوء بالطريقة التى ذكرناها ، من محاسبتك لاعضائك ، وجوارحك ، وحواسك ، اثناء الوضوء ، لأنها هى الأبواب التى تدخل على القلب الظلام ،ان كان تصرفها تصرف جهال .. أو النور، ان كان تصرفها تصرف عقال .. والى هذا الاشارة بقوله تعالى: « وفى الأرض آيات للموقنين * وفى انفسكم .. أفلا تبصرون ؟؟ » .. ويقول المعصوم : « ان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح سائر الجسد ، واذا فسدت فسد سائره ، ألا وهى القلب . » .. وفى هذا المعنى جاء قولهم :

اذا حلت الهداية قلبا * نشطت للعبادة الاعضاء ..

فيجب ان نروض اعضاءنا ،وجوارحنا ،على الطاعة ،وذلك بحفظ عقولنا ،وقلوبنا،

من الغفلة ،وبمحاسبة حواسنا ، وجوارحنا ،على المعصية ،وبالمجاهدة حتى نحفظها فى حظيرة الطاعة : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ، ويحفظوا فروجهم .. ذلك ازكى لهم .. ان الله خبير بما يصنعون ❊ وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن ، الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو ابنائهن ، أو ابناء بعولتهن ، او اخوانهن، أو بنى اخوانهن ، او بنى اخواتهن، أو نسائهن، أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير اولى الاربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على غورات النساء .. ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .. وتوبوا الى الله ، جميعا ، ايها المؤمنون ، لعلكم تفلحون » ..

من لطائف اشارات العارفين فى القرآن قولهم ، فى قوله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار،وليجدوا فيكم غلظة،واعلموا ان الله مع المتقين » قالوا :ان الذين يلوننا من الكفار انما هم جوارحنا ،وحواسنا ،فيجب عليك ان تجاهد عينك فلا تنظر الى محرم ، ويجب ان تجاهد سمعك ، ولسانك ، ويدك ، ورجليك ، وفرجك ، وبطنك ، وان تحفظها جميعا ، بقوة ، وبشدة .. وثق ان الله ناصرك ، ومؤيدك ، مادمت على ذلك : « واعلموا ان الله مع المتقين » .. وجهاد هذه هو ما اسماه المعصوم بالجهاد الاكبر ، وذلك حين كان يقول ، فى غير مرة ، عند عودته من غزوات الجهاد فى سبيل الله :«رجعنا من الجهاد الاصغر للجهاد الأكبر»..

يجب ان يكون واضحا فان الجهاد بالسيف منسوخ ، منذ اليوم ، وان الجهاد الأكبر معلن ،منذ اليوم ..فان الله بمحض فضله، ثم بفضل حكم الوقت ،انما يريد للناس، منذ اليوم ، ان يعيشوا فى سبيله ، لا ان يموتوا فى سبيله .. وهذا ، لعمرى !! هذا أصعب ،مئات المرات ،من ذاك ،وهو مامن أجله أسماه المعصوم بالجهاد الأكبر..قال تعالى، يأمر « نبيه » ويأمر كل واحد من « المسلمين » الذين هم اخوانه ، من ورائه : « قل انني هدانى ربى الى سراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم ، حنيفا ، وما كان من المشركين ❊ قل ان صلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى ، لله رب العالمين ❊ لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » .. حياة كلها لله ، متقلبها ،

ومثواها .. منشطها ، ومكرهها .. فان كنت تريد ان تحيا لله فان قانونك الذى يجب ان يكون دائما بين عينيك انما هو قوله ، تبارك من قائل : « فمن يعمل ، مثقال ذرة ،خيرا يره ومن يعمل ، مثقال ذرة ،شرا ، يره » .. «يره» !!من يعمل خيرا يره، ومن يعمل شرا يره .. يره «اليوم»،بل يره«اللحظة» ،لا غدا .. ولا يمنعه من الرؤية « الناجزة » ، « الحاضرة » ، للتو ، وللحظة ، الا الغفلة .. ولكن الحاضرين ، غير الغافلين ، يرون .. هم يرون نتائج ما يعملون للتو ، وللحظه . قال أحد العارفين : « ما عصيت الله تعالى معصية الا وجدتها ، فى نفسى ، أو فى ولدى ، أو فى زوجتى ، أو فى دابتى » ..

اعلم انك : « كما تدين تدان » ثم أفعل ،بعد ذلك ، ما شئت ، فانما هى اعمالك ترد عليك ..

يقال ان الأمام عليا بن ابى طالب قال مرة : انا ، منذ زمن بعيد ، ما أحسنت لأحد قط ، ولا أسأت لأحد قط .. فاستغرب الناس هذه القولة .. وقد علموا ان افعال الامام كلها احسان للناس .. فلما رأى استغرابهم قد طال ، وأنهم لم يهتدوا الى وجه القول،قال لهم : ما أحسنت الا لنفسى،ولا أسأت الا لها .. دونكم القرآن!! : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها .. وما ربك بظلام للعبيد » .. أو قال : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها » .. أما أنت فاجعل هذا دليلك .وحدث به نفسك كثيرا .وأشعرها انها ان قصرت فى واجب الحق ،ثم أخذت حقا ،فانه يعود على الجسم بالمرض ،وعلى العقل بالجهل ،وعلى القلب بالظلام ..وان هى قصرت فى واجب المروءة فان التقصير يعود عليها ،وعلى التو ،بنقص فى المروءة.. ان أنت مثلا كنت شابا ، جلدا ، وكنت تجلس على مقعد فى المركبة العامة ــ فى البص ــ ودخل رجل شيخ ، أو امرأة شيخة ، أو حتى امرأة شابة ، ولم يجد مقعدا ، فظل هو قائما ، ممسكا بأطراف المقاعد ، وظللت أنت جالسا مكانك ، لا تعيره انتباها ، ولا تأبه له ، فاعلم ان مروءتك قد أخذت تنقص ، من تلك اللحظة ، وسيجىء الوقت ، وسريعا ، حيث تشعر بنقصها هذا شعورا ماديا ، وملموسا .. فان هذا قانون المعاوضة : « ومن يعمل ، مثقال ذرة شرا ، يره » ..

ثقافة العقل واليد ..

ان قيمة المجتمع للفرد لا تساويها قيمة .. هو أكبر الوسائل لأنجاب الفرد الحر ، الكامل .. ولقد يكفى أن يقال هنا انه الوسيط الذى فيه يتحرك الفرد ، وفيه يمارس العبادة ، ويمتحن الأخلاق ، ويميز القيم .. وفيه يجد الأمن ، ويستشعر الحب ، ويباشر التعاون، والعمل ،ويحصل العلم .. وبالعلم ،والعمل وفق هذا العلم ، يتوكد وجود الفرد ،وتنضج شخصيته ،وتقوى ،وتتحقق حريته ،وتتسع حياته ،وتخصب ..

ان الوقت قد أنى الذى فيه يعنى كل فرد بتثقيف عقله ، ويده .. وثقافة العقل ، واليد ، انما تتحقق بأن يحذق الفرد ــ كل فرد ــ عملا يدويا ، تكون له به خبرة ، ويمارسه عن احتراف ، أو عن هواية ، ويتجه دائما الى ادائه بحذق ، وبأتقان .. وليكن معلوما !! فان قيمة العمل اليدوى ليست فى كسب العيش فقط ، وانما هى ، وبقدر أهم ، فيما يثمره هذا العمل من توحيد العقل ، والعين ، واليد .. وهذا التوحيد هو من أقرب السبل الى توحيد القوى المودعة فى البنية البشرية التى بتوحيدها ، وبقدر مبلغ اتقان توحيدها ، تتم الحياة وتكتمل .. تلك القوى انما هى العقل ، والقلب ، والجسد .. فأنت ، على سبيل المثال ، اذا كنت نجارا ، أو بناء ، أو ميكانيكيا ، أو ساعاتيا ، فانك انما تباشر عملك الفنى هذا بعقل يعلم ، وعين ترى ، ويد تنفذ .. وممارسة اتقان صنعتك هذه تسوق ، باستمرار ، الى ايجاد نوع من التعاون ، ونوع من التوحيد ، بين هذه الجوارح الثلاث : العقل ، والعين ، واليد . والعقل الذى تتوحد جوارحه يكون قويا ، ونافذا ، ومسيطرا .. وهذه هى ما تسمى بثقافة العقل ، واليد ..

فليس احتراف الحرفة ، اذن ، ولا تجويد الحرفة ، واتقانها ، من اجل كسب العيش ، فحسب ،وانما قيمته وراء ذلك ،وفوق ذلك، بمالا يقاس .. ولو ان الناس علموا قيمة العمل اليدوى ، الفنى ، الماهر ، واستطاعوا توجيهه توجيها ذكيا ، لحققوا به مكاسب يجدون بركتها فى ابدانهم ، وعقولهم ، وقلوبهم .. ثم لما بقى أحد من الناس الا وسعى لاكتساب مهارة فنية يمارسها كحرفة أساسية ، أو كهواية اضافية ، ينفع ، وينتفع بها ،ساعات فراغه ..ويمكن القول بان التعليم الرسمى نفسه

يجب ان يتجه لتعليم كل مواطن ،ومواطنة ،حرفة يدوية بها يستطيع اتقان عمل ما ..

ان الصلاة ، اذا فهمت ، وعرفت على ماقدمناها عليه هنا ، من انها حضرتا « احرام » و « سلام » ، وحضرة « الأحـرام » عبادةوحضرة « السلام » معاملـة ، والمعاملـة قوامها دفع الضرر عن الناس ، وتوصـيل الخير اليهم ، لأصبحت الحياة كلها صلاة ، ولاصبح اتقان الاعمال التى يكسب منهـا الفرد عيشه ، ويعـود منها بالنفـع علـى الآخـرين ، أكبر القـربات الى الله .. ان القاعدة هى ان الدين « النصيحة » .. و « النصيحة » النقاء ، والخلوص مـن الشوائب ، والاخـلاص .. و « النصيحة » تكون لله ، ولرسول الله ، ولكتاب الله ،وللحاكم ، ولعامة الناس .. « فمن غشنا ليس منا » .. قولة رسول الله ..

والقاعدة فى المعاملة : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » و « الخلق عيال الله ،فأحبهم الى الله ،انفعهم لعياله » .. و«أحب الأعمال الى الله اغاثة الملهوف » .. و « اصلاح ذات البين » .. و « وقولوا للناس حسنا » .. و « يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .. و « لاخير فى كثير من نجواهم ، الامن أمر بصـدقة ، أو معروف ، أو اصلاح بين الناس » ..

« الدين المعاملة » هى قولة المعصوم الشاملة .. وله قولـة اخـرى : « انمـا بعثت لأتمم مكـارم الأخـلاق » .. ان العبادة هى المعاملة .. وكما ان قيمة العبادة للفرد العابد ،فكذلك قيمة المعاملة ،انما هى للفرد المعامل .هذا فى المكان الاول .ثم هى لفائدة الجماعة فى المكان الثانى ..

ان حكم الوقت الحاضر يقضى بان نجعل العبادة مدرسة فيها تتلقى الطاقة التى بهـا نخلص لخدمة الناس،وان نجعل المجتمع وسيطا فيه تتحرك لنطبق محصول العبادة.. وبين تحصيل الطاقة والمعرفة بخدمة الناس ، وبين تطبيق هذه الطاقة ، وهذه المعرفة ، فى واقع حياتنا ، وفى مجتمعنا ، نتنظر من الله ثواب عبادتنا .. وهو ثواب ناجـز ، وحاضر ، وفورى ، نجده فى عقولنا بصفاء الفكر ، وفى قلوبنا بسلامة الطويـة ، وفى اجسـادنا بصحة الحواس ، والجـوارح ..

ان شعارنا المستمر يجب ان يكـون : اداء الواجب المباشر بأتقان .. ونحن ، من أجـل المقدرة على التمييز بين الواجبات : أيهـا المباشر ؟؟ وأيهـا الذى يليـه ؟؟ لابد لنا مـن تجويد العبادة .. ونحن ، مـن أجل المقدرة على اداء الواجب المباشر

باتقان ، لابد لنا من تجويد فننا الذي نمارسه من أجل كسب عيشنا ، ومن أجل خدمة مجتمعنا .. فأما من أجل تجويد العبادة فانا نقدم هذا الكتاب : « تعلموا كيف تصلون » .. وأما من أجل تجويد اداء الواجب المباشر فانا سنوالى تقديم سلسلة : « تعلموا كيف » ، التى ستتكفل ، فيما بينها ، باحداث « الثورة الثقافية » .. واول ما تبدأ به « الثورة الثقافية » انما هى نفوسنا .. وآخر ماتنتهى به الثورة الثقافية انما هى نفوسنا .. وأحب لك ان تتذكر!! فان « الثورة الثقافية » لها بداية ، وليست لها نهاية .. ذلك لأنها تطور مستمر للنفس البشرية فى مراقى التدنى من الله ــ من الكمال المطلق .. ومن أجل ان تؤدى « الثورة الثقافية » لنا هذه القيمة فيجب ان يكون اداؤنا للواجب المباشر محاكاة لصنع الله ، وتخلقاً باخلاقه .. فان التخلص من نقائصنا ، والدخول فى كمالات الله ، منوط بهذا الصنيع ، وهو ما من أجله ندبنا ان نتخلق بأخلاق الله .. قال المعصوم : « تخلقوا بأخلاق الله .. ان ربى على صراط مستقيم » .. وقال تعالى : « كونوا ربانيين ، بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون » ..

واخلاق الله اعلاها الحكمة .. والحكمة هى وضع الأشياء فى مواضعها ، هى اعطاء كل ذى حق حقه .. وتنفيذ الحكمة فى الواقع المعاش انما يتأتى بتوحيد هذا الثالوث : العلم ، والأرادة ، والقدرة .. ولقد خلق الله ، تبارك وتعالى ، خلقه بالعلم ، والأرادة ، والقدرة ، فبرزت الحكمة بعد كمون .. ونحن علينا ، من أجل التخلق بأخلاق الله ، ان نقوم بكل عمل نعمله ، بعلم ، وبارادة ، وبقدرة .. أو ، بعبارة اخرى ، بعلم دقيق بما نريد عمله ، ثم تخطيط لهذا العمل ، وفق هذا العلم الدقيق ، ثم تنفيذ لهذا التخطيط ، جهد الاتقان ..

وبوحدة هذا الثالوث : العلم ، والأرادة ، والقدرة ، نحرز المقدرة على توجيد ثالوث ، هو فى غاية الاهمية ، كوسيلة مفضية الى الحرية الكاملة ، ومن ثم الى الحياة الكاملة . هذا الثالوث هو الفكر ، والقول ، والعمل .. ذلك بأن الرجل الحر هو ، فى أول الطريق ، من يفكر كما يريد ، ثم يقول كما يفكر ، ثم يعمل كما يقول ، ثم هو ، دائما ، مستعد لتحمل نتيجة فكره ، وقوله ، وعمله ، امام الله ، ثم امام المجتمع ، وفق قانون دستورى .. ثم ان الحر ، فى درجة متقدمة من المراقى ، انما هو من يفكر كما يريد ، ويقول كما يفكر ، ويعمل كما يقول ، ثم لاتكون عاقبة فكره ، ولا قوله ،

ولا عمله ، الا برا ، وخيراً ، بالأحياء ،وبالأشياء .. وانما من أجل وحدة هذا الثالوث المهم جاء قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟؟ ❊ كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » ..هذه وحدة ثالوث « الفكر » ــ وهو الفكر ، والقول ، والعمل ــ وهى وسيلة واسلة للوحدة الكبرى ــ لوحدة ثالوث « الحياة » ــ وهو العقل ، والقلب ،والجسد ــ وهذا هو نهاية المطاف (وليس للمطاف نهاية) ولكنه غاية الغايات ، ونهاية النهايات .. وهو جماع التكليف الدينى ، فى جميع أكوان وجود الانسان .. فى هذه الحياة الدنيا ، وفى دنيا البرزخ ، وفى النار ، وفى الجنة .. بل ان الحياة الكاملة ليست تكليفنا الدينى فحسب ، وانما هى القدر المقدور لنا .. فان الأنسان مكتوبة عليه الحرية ، ومكتوب له الكمال .. يقول تعالى فى ذلك : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم الينا لا ترجعون ؟؟» .. ويقول تعالى فى ذلك ، أيضاً : « يأيها الأنسان انك كادح الى ربك كدحاً ، فملاقيه » .. قال : « الأنسان » ، ولم يقل « المؤمن » .. لا !!ولا حتى « المسلم » . . وانما قال « الأنسان » .. فعلم ان مطلق انسان يلاقى الله .. وماله من ذلك بد ، وليس له فيه اختيار .. وليست ملاقاة الله بالسير فى المسافات ، وانما هى بتقريب الصفات من الصفات ــ هى بتقريب صفات العبد من صفات الرب ــ وبهذا تكمل الحياة .. وليس لكمال الحياة نهاية فيبلغها الحى ،وانما هو السير السرمدى فى مراقى القرب من الله .. وهذا السير هو « ثورة فكرية » و « ثورة ثقافية » .. وهذه الثورة لاتنتهى ، لافى الدنيا ، ولافى الآخرة .. لأن السير الى الله لن ينفك ، ولن يقف .. فأهل الدنيا ، فى الدنيا ، سائرون .. واهل البرزخ ، فى البرزخ ، سائرون .. واهل النار ، فى النار ، سائرون .. وأهل الجنة ،فى الجنة ، سائرون.. فالسير فى «السرمد» ، بعد نهاية « الأبد » .. ومن أجل ذلك قلنا : ان الثورة الثقافية لها بداية ، وليست لها نهاية .. لأنها « تطور » سرمدى فى مراقى الكمال المطلق ..

واقتران « الثورة الفكرية » « بالثورة الثقافية » هو اقتران العقل بالجسد .. « فللعقل » الثورة الفكرية ، و « للجسد» الثورة الثقافية .. والنتيجة « علم » ، و « عمل » بمقتضى العلم .. وآية ذلك من كتاب الله قوله ، تبارك وتعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه » .. و « الكلم الطيب » التوحيد .. و

« العمل الصالح » اعلاه الصلاة .. وهو ايضاً كل عمل فى « المعاملة » ، و « الخدمة » ، وتوصيل الخير للناس .. فالكلم الطيب حظ العقل ، والعمل الصالح حظ الجسد .. وبالعلم ، والعمل بمقتضى العلم ، يحدث « التوحيد » بين العقل والجسد .. وهذا هو غرض الكلمة : « لا اله الا الله » فانا قد قررنا ، وبتفصيل ، ان التوحيد صفة الموحد (بكسر الحاء) ، وليس صفة الموحد (بفتح الحاء) .. .

والصلاة ، والخدمة للناس ، انما هما منهاج الدنيا .. واما منهاج « البرزخ » ، واما منهاج « الآخرة » ، وأما منهاج « السرمد » ، فى الترقى ، فانما هو « الفكر » ، و « الذكر » .. « الكلم الطيب » هناك « الفكر » ، و « العمل الصالح » « الذكر » .. فكأن « الكلم الطيب » ، فى اكوان ما بعد الدنيا ، هو أيضا حظ « العقل » ، ولكن « العمل الصالح » فيها يكاد يكون حظ « القلب » .. الفكر « للعقل » ، والذكر « للقلب » وبقاء الانسان منقسماً بين عقل ، وقلب ، انما هو بقاء سرمدى .. ولا يقع التوحيد ، الا فى « الفينة » بعد « الفينة » .. فأما التوحيد « المطلق » فانما هو حظ الله وحده .. لا شريك له فيه .. وهو لا يكون حظ الانسان الا بالميراث ، وذلك ميراث لا يتم الرشد لأستحقاقه برمته .. هذه هى « الثورة الفكرية » ، و « الثورة الثقافية » .. وهى تبدأ « منذاليوم » .. ولا يغفل عنها الا غافل ، قد هانت عليه نفسه ، فلم يحفل بمصيرها .. قال تعالى فى ذلك : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم ؟؟ الا من سفه نفسه !! ولقد اصطفيناه ، فى الدنيا ، وانه ، فى الآخرة ، لمن الصالحين .. » .. تبدأ فى الدنيا ، وتبدأ « منذ اليوم » لكل عاقل ، حازم ، يهمه مصير حياته ، فى الحاضر ، وفى المستقبل القريب ، وفى المستقبل البعيد .. وتبدأ بالصلاة .. بتقليد « قدوة التقليد » ـ محمد ، النبى ، الأمى ـ تبدأ بالصلاة « بحضرتيها » .. وهذا الكتاب انما هو فى تبيين تلك البداية .. وهو عمل منا خالص لوجهه .. فان كان يعلم تمام خلوصه له ، فهو المرجو أن يقبله .. وان كان يعلم نقص خلوصه ، فهو المرجو ان يخلصه له ، من كل شائبة ، وان يقبله ، وان ينفع به كل الناس ، حيث وجد الناس .. انه سميع مجيب ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« فاذكرونى أذكركم .. واشكروا لى
ولا تكفرون * يا أيها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر ، والصلاة .. ان الله
مع الصابرين »
(صدق الله العظيم)

الباب الاول

المدخل

هذا كتاب عن « الصلاة » ، اسمه : «تعلموا كيف تصلون» .. وهو كتاب يشفع كتابنا الأول : «رسالة الصلاة» ،الذى يجرى ، الآن ، فى طبعته السادسة .. وقد كانت طبعته الأولى فى شهر الله المبارك رمضان من عام ١٣٨٥ ، وكان هذا يوافق شهر يناير من عام ١٩٦٦ ..

هذا الكتاب يحاول أن يجعل تحقيق «رسالة الصلاة» ممكناً ، وهو ما من أجله جعل اسمه : «تعلموا كيف تصلون» .. والصلاة أشرف عمل العبد .. فانه ، اذا كانت أعلى العبادات اللفظية هى : « لا اله الا الله » ، فان أعلى العبادات العملية هى «الصلاة» .. وكيفية الصلاة غير معلومة لدى الناس بصورة كافية .. وقيمة الصلاة مجهولة عند الناس جهلا تاماً .. وانما أردنا بهذا الكتاب الى تبيين الكيفية بصورة جلية ، والى اظهار القيمة من الصلاة اظهاراً كافياً ، يعيد اليها بعض ما تستحق من الكرامة ، والتفضيل ..

ان الصلاة ليست عمل السذج ،والبلهاء ، والغافلين ، والعاجزين ، كما يظن المثقفون على عصرنا الحاضر .. وانما الصلاة عمل هؤلاء جميعاً ، وهى ، الى ذلك ، وفوق ذلك ، وقبل ذلك ، عمل المثقفين ، والعلماء ، والفنانين ، والفلاسفة ، وعمل كل مفكر ، للفكر عنده مكانة ،وكرامة .. فنحن لا نحاول محاولتنا هذه

لندعو الى الصلاة المؤمنين وحدهم ، وانما دعوتنا تتوجه الى اصحاب الفكر الحر ، الكريم ، حيث وجدوا .. ذلك بأنا موقنون أن عصرنا الحاضر هو عصر الفكر ، والعلم .. وهو ، من هذا المستوى ، يواجه الدين — من حيث هو دين — بتحد لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية الطويل ، العريض .. ومضمون هذا التحدى هو : أيستطيع الدين — من حيث هو دين — أن يرتفع الى مخاطبة العقول النيرة ، واقناعها ، فى مستوى جميع تطلعاتها ، وتساؤلاتها ؟؟ أم يظل ، كسابق عهده ، يطالب بالأيمان ، ويفرض الأذعان ، ثم هو لا يكاد يسعى الى ما فوق ذلك ؟؟ ..

غنى عن القول أن الايمان ، بصورة من الصور ، قاعدة للعلم ، وللعقيدة معاً .. ولكن العلم يتسامى بالأيمان الى الايقان ، فى حين أن العقيدة تقف ، أو تكاد تقف ، عند الأيمان .. وهذا حديث قد جرى تفصيله فى كتابنا : « الرسالة الثانية من الاسلام » مما يغنى عن تفصيله هنا .. والذى يهمنا أن نقرره الآن هو : اننا انما نعيش فى عصر العلم ، والفكر — فى عصر التكنولوجيا ، وعصر الفضاء ، وعصر دقائق العلم بخواص المادة ، ونستقبل ، كل يوم ، مزيداً من دقائق العلم بكل اولئك — وليس هذا العلم هو حاجتنا بالاصالة ، وانما هو حاجتنا بالحوالة .. وما حاجتنا بالأصالة الا العلم بدقائق النفس البشرية .. نحن نبحث عن أنفسنا .. نريد أن نجدها ، وأن نعرفها ، وأن نكون فى سلام معها .. هذا هو العلم الحقيقى الذى سيتوج العلم المادى الحاضر ، ويوجهه .. وعندنا ، نحن المسلمين ، أن القرآن انما هو دعوة الى هذا العلم ، وان الصلاة انما هى منهاج الى تحقيق هذا الغرض .. بها تتسامى النفس ، من مرحلة الايمان الى مراقى الايقان ، التى تدخل بها مداخل الحياة الخالدة ، تلك الحياة التى لا تؤوفها آفة الجهل ، والنقص ، والعجز .. وهذا هو مطلب الحياة .. بل هو مطلب العناصر ، جميعها ، منذ فجر الوجود ، وقبل ظهور الحياة فى المسرح : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما * ويدعو الأنسان بالشر ، دعاءه بالخير ، وكان الأنسان عجولا » .. هنا

ثلاثة أصناف من الناس : المسلمون ،والمؤمنون ، والكفار .. فأما المسلمون فان القرآن يهديهم .. وأما المؤمنون فانه يبشرهم .. وأما الكافرون فانه ينذرهم .. والانذار انما هو الوجه الآخر للتبشير ، وما الأختلاف بين الوجهين الا اختلاف مقدار .. ذلك بأن الغرض من كليهما ـ التبشير والانذار ـ انما هو الهداية ، فانتهى الأمر الى ان قوله : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » انما يعنى انه يهدى جميع الناس ، على تفاوت فى المقدار ، سببه التفاوت فى الاستعداد .. وجميع الناس مهديون ،ومهتدون ، فى المآل ، ولا يقع ضلال من ضل الا فى الحال .. وهذه هى الحكمة وراء العقوبة بالنار .. وماهى التى هى أقوم ؟! هى النفس العليا !! ففى كلمة «أقوم» اشارة الى الاستقامة .. والاستقامة هى الأستواء بين طرفين: كلاهما مقصر ،ومعيب :طرف «الأفراط»،وطرف «التفريط» .. طرف الأفراط فى الروحانية،وطرف التفريط فى الروحانية .وهذا الأخير انما يعنى الحيوانية .. والنفس العليا انما هى اعتدال ، واستقامة ، تلتقى فيها ، على استواء ، فضائل الروحانية ، وفضائل الحيوانية .. والأنسان ، فى نشأته ، برزخ ، التقت عنده الروحانية ، والحيوانية .. وليس كماله فى ان يكون روحانيا صرفا .. ولا هو بالطبع فى ان يكون حيوانياً صرفا . وانما كماله فى أن يكون مزجاً معتدلا ، ومستوياً بين هذين الطرفين ، وبتعبير آخر ، فان الله قد خلق خلقاً هم عقول بلا شهوة ، وهؤلاء هم الملائكة .. وخلق خلقاً هم شهوة بلاعقول ، وهؤلاء هم الأبالسة ـ ابليس وذريته ـ ثم جاءت النشأة البشرية : شهوة ركب عليها عقل ، وأمر بسياستها .. والنفس العليا ، فى هذه النشأة ، انما هى النفس الخاضعة، فى شهواتها، لمقتضيات العقل القوى ، المستحصد . . وانما جاءت الشرائع لتعين العقول على هذه القوة ، وعلى هذا الاستحصاد . . وفى مقابلة النفس العليا ، النفس السفلى ، وهذه هى ما سميت بالنفس الأمارة بالسوء : « وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء ، الا ما رحم ربى .. ان ربى غفور رحيم » .. وحين أشار الى النفس السفلى فى هذه الاية ، فانه تعالى اشار الى الأرتفاع منها نحو النفس العليا ، وذلك حين قال ، من تلك الآية : « الا مارحم ربى » .. فانه ،بهذا الأستثناء ، قد فتح الباب الموصل بين

النفس السفلى ، والنفس العليا ، ومعلوم ان الأختلاف بينهما انما هو دائما اختلاف مقدار .. فكل مرحلة ، يقطعها السالك ، من مراحل النفس ، تمثل نفساً عليا بالنسبة لما هو دونها ، وهى نفسها تكون فى منزلة نفس سفلى بالنسبة لما هو أعلى منها ، وهكذا دواليك .. والى غير نهاية .. ذلك بأن السير فى هذه المراقى انما هو سير سرمدى ، ليس له حد فيحده ، ولا نهاية فيبلغها ، وانما كل كامل فوقه اكمل منه ، وكل عالم فوقه أعلم منه .. والى ذلك الأشارة بقوله تعالى : « فوق كل ذى علم عليم » ..

ومن أجل الأشارة للنفس العليا ، والنفس السفلى ، وكونهما وجهين لأمر واحد ، جاء قوله تعالى : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها .. » .. قوله : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه » ، يعنى ان العارف انما هو من عرف الطريق ، ولزم الطريق ، الموصل من نفسه السفلى ، الى نفسه العليا .. ثم قال: « ومن ضل فانما يضل عليها .. » .. والضمير بالهاء من « عليها » يرجع للنفس ، ولكنه ليس للنفس العليا ، وانما هو يرجع للنفس السفلى ، وذلك لقرينة قوله : « ضل » .. فهو اذن انما يعنى بقوله : « ومن ضل فانما يضل عليها » ، الجاهل من ظل يتخبط فى ظلمات شهوات نفسه السفلى ، وقد فقد ، فى متاهاتها ، الطريق الخارج منها فى اتجاه نفسه العليا ..

وفى نفس هذا المعنى جاء قوله تعالى : « وأن أتلو القرآن .. فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل : انما أنا من المنذرين ❊ وقل : الحمد لله .. سيريكم آياته فتعرفونها .. وما ربك بغافل عما تعملون » ..

وقال بعض العارفين ، فى مضمار الأشارة الى النفس العليا ، والنفس السفلى : « سيرك منك ، وصولك اليك » والسير انما هو علم ، وعمل بمقتضى العلم .. والعلم أداته العقل ، والعمل أداته الجسد .. وأدنى العلم ، فيما نحن بصدده ، فى هذا الكتاب ، هو علم الشريعة — علم ما لا تصح العبادة الا به — وأدنى العمل ، فيما نحن بصدده ، فى هذا الكتاب ، هو الصلاة الشرعية ، بحركاتها ، وكيفياتها ، المعروفة .. وليست الصلاة غاية فى ذاتها وانما هى وسيلة الى غاية ، هذه الغاية هى توحيد

الانسان منقسم

لقد سلفت الأشارة الى ان الأنسان ،فى نشاته ، انما هو برزخ بين الملائكة الاعلين، والأبالسة الأسفلين .. هو نقطة التقاء النور ،والظلام ــ العقل ، والشهوة ــ ولقد قررنا ان العقل قد أمر بترويض الشهوة .. وعلى هذا قام التكليف ، وبه ظهر الأنسان ، بعد ان لم يكن .. قال تعالى : « هل أتى على الأنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟؟ » .. و « هل » هنا تعنى «قد» التحقيقية .. فقد مر على الأنسان دهر دهير كان أثناءه يتقلب فى مراحل الحيوانية السفلى .. وهو لم يكن يومئذ « شيئاً مذكوراً » لأنه لم يكن مكلفاً ، وانما كان سائماً .. وقانون السائمة اتباع اللذة ، حيث وجدت ، والفرار من الألم ، حيث أمكن .. وقانون المكلف هو قانون الحرام والحلال ، وقانون النهى والأمر .. وهو ،فى جملته ، يعنى عمل المأمورات ، واجتناب المنهيات .. وان كان فى هذا وذاك مشقة على النفس، وحرمان لها من دواعى جبلتها .. وبدخول هذا القانون ــ قانون التكليف ــ انقسم الأنسان .. وبدأ سيره نحو الأنسانية ، مبتعداً عن الحيوانية .. وكل مشقة يحتملها فى هذا الأتجاه ، انما هى منزلة قرب من انسانيته ، تمثل ، فى حد ذاتها ، منزلة بعد عن حيوانيته .. وهذا ما أشرنا اليه عندما قلنا : ان السلوك ، انما هو ارتفاع من النفس السفلى ، الى النفس العليا .. وهو ما قاله العارف ، حين قال: « سيرك منك ، وصولك اليك » ..

وبالتجافى عن اللذة الحرام العاجلة ،استجابة لما أوجب الشارع ، وابتغاء اللذة الحلال الآجلة ، قوى عقل الأنسان ، وقويت ارادته .. قوى عقله لحاجته الى التمييز بين ما ينبغى وما لا ينبغى .. وقويت ارادته لحاجته الى السيطرة على دواعى نفسه الى الاندفاع نحو اللذة الحاضرة ، كما هو العهد بالحيوان .. وبهذا الصنيع انكبتت رغائب اصبح بها الأنسان منقسما بين عقل كابت ، ورغائب نفس مكبوتة .. وكلمة «العقل» هنا تمثل قوة الأدراك ، وقوة السيطرة ..

وانقسام الأنسان لم يبدأ بظهور قانون الحلال والحرام، كما جاءت به الأديان، وانما بدأ بظهور المجتمع .. وقد سبق ظهور المجتمع ظهور الأديان بآماد سحيقة .. وفى

الحق ، انهذا الأنقسام قد أخذ بداياته منذظهور الحياة نفسها .. فان ظهور المادة العضوية ، من المادة غير العضوية ، ذلك الظهور الذى يؤرخ بدء الحياة ، فى صورها البسيطة ، انما هو انقسام المادة بين كثيف ،ولطيف .. وقد ظل الكثيف يلطف ، واللطيف يزداد لطافة ، حتى بلغا ، فى مرحلة الأنسانية ، ان اصبح اللطيف يمثل العقل ، والكثيف يمثل الجسد .. فلكأن الانقسام أخذ بداياته بظهور الحياة .. بل ان الانقسام هو مرادف للحياة .. هو هى ..ولكنه تعقد ، وتشعب ، وترسبت طبقاته ، طبقة فوق طبقة ، بظهور المجتمع الأنسانى ،واعرافه ، وعاداته ، وتقاليده .. ثم ازداد تعقيداً ، بظهور الأديان ، فى صورها المعقدة .. وبتوكيد فكرة الغيب فيها ، وبالدعوة الى الأيمان ، والى التوحيد ..وقد عالجنا مسألة الكبت كلها بصورة مفصلة فى مقدمة الطبعة الرابعة من كتابنا : « رسالة الصلاة » ، بما يغنينا هنا عن الأعادة ، فليراجع فى موضعه .. والأمر الذى نريد ان نقرره هنا ، وان كان قد ورد هناك بتفصيل كاف ، هو ان الانقسام قد كان ، فى جميع اطواره ، بدافع من الخوف .. فلولا الخوف ما ظهرت الحياة ، فى المكان الأول ، ولولاه ما ترقت الحياة بظهور العقل ، فى المكان الثانى ..ولكن الحياة ، مع ذلك ، لن تبلغ كمالها الا اذا تحررت من الخوف تماماً .. فلكأن الخوف صديق فى بدايات النشأة ، عدو فى أخرياتها .. ولقد رسب هذا الخوف ، فى النفس البشرية ، عقداً لا يحصيها الحصر .. وهى تقع على مستويين : المستوى الموروث فى عمر الحياة ، والمستوى المكتسب فى عمر الفرد .. وهذه العقد بمستوييها هى الحائل الآن بين الأنسان والعلم .. هى الحجاب القائم بين قلب الأنسان ،حيث الحقائق الأزلية،وعقل الانسان ، حيث المرآة التى تتطلع لانعكاسات هذه الحقائق الأزلية عليها..وعمل كل العبادة انما هو محاولة تلطيف هذا الحجاب الحائل ، وذلك بحل هذه العقد ، المكتسبة ، والموروثة .. والى هذه العقد بمستوييها ، والى كونها حجباً ،وردت الأشارة بقوله ، جل من قائل : « كلا !! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا !! انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالو الجحيم * ثم يقال : هذا الذى كنتم به تكذبون » .. قوله : « ما كانوا يكسبون .. » ، تشير الى الحيل التى لا تحصى ، والتى دفعنا الى

اتخاذها الخوف على الحياة ، في المكان الأول ، والخوف على الرزق ، في المكان الثاني •• ثم قال « كلا !! انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »•• وهو يعني «يومئذ» بدء النشأة الأخرى ، بتحصيل الأعمال المكتسبة في النشأة الأولى•• ذاك يوم ظهور الحجاب بين الرب ، والعبد الجاهل ، على اكثف صوره •• ولكن « يومئذ » هذا ليس غائباً اليوم تماماً ، ولا الحجاب غائباً اليوم تماما •• ثم قال « ثم انهم لصالو الجحيم » •• والحكمة المرادة من تصليتهم الجحيم انما هي رفع الحجاب الذي عجزوا عن رفعه ، بتحصيل العلم ، في النشأة الأولى •• وهذه التصلية هي جزاء وفاق ، وعدل مطلق •• ومن ههنا ، عرف العارفون ان التصلية بالجحيم ، انما هي مرحلية ، وليست سرمدية •• هي رحمة ، وليست انتقاماً •• عن ذلك تعالى الله ، علواً كبيرا••

رفع الحجب

وانما من أجل رفع هذه الحجب القائمة بين العقل والقلب — بين الحادث ، والقديم — جاءت رسالات السماء على ألسنة الرسل البشر : «ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ، والحكم ، والنبوة ، ثم يقول للناس : كونوا عباداً لي ، من دون الله •• ولكن كونوا ربانيين ، بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة ، والنبيين ، أربابا ً•• أيامركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ؟؟ » وعلى هذه جاء قول المعصوم : «تخلقوا بأخلاق الله•• ان ربي على سراط مستقيم » •• وأعلى أخلاق الله « الأحدية » •• والأحدية هي الصمامة الداخلية ، والخارجية ، التي لا تنقسم ، لبراءتها من الأغيار ، ولخلوها من الفجوات ، ومن الفراغ •• وسبيل الأنسان الى التخلق « بالأحدية » انما هو التخلق « بالواحدية » •• والواحدية هي التفرد الذي لا يشبهه شبيه •• وسبيل الأنسان الى التخلق بالواحدية تجويد التوحيد ، «لا اله الا الله » •• وسبيل الأنسان الى تجويد التوحيد ، تجويد العبادة •• والعبادة معاملة •• والمعاملة ، كالعملة ، ذات وجهين : من أعلاها معاملة الرب •• ومن أدناها معاملة الخلق •• وأعلى معاملة الرب « الصلاة » •• وأعلى معاملة العبد صلة الرحم •• وليست الرحم هنا رحم قرابة الدم ، (وان كانت هذه موجودة في أدنى المنازل) ، وانما الرحم هنا بمعناها الواسع ، وهي رحم العبودية للمعبود الواحد •• قال

تعالى ، فى ذلك : « ان الله يأمر بالعدل ،، والأحسان، وايتاء ذى القربى.. وينهى عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغى .. يعظكم لعلكم تذكرون » .. قمة الصلاة ان تكون صلة بينك ، وبين الله ، حتى تكون معه كما هو معك .. وهيهات .. وقمة المعاملة ان تنشأ الصلة ، بينك ، وبين الأشياء ، والأحياء ، فتتصرف فيها وأنت تتوخى الحكمة التى ترضى خالقها ، فى تصريفها .. وهذه دائماً ممكنة ، فى مستوى من المستويات ، للعارفين الذين تبلغ بهم المعرفة منازل المحبة ــ محبة الأحياء ، والأشياء .. وبالمحبة تتحرر من الخوف ، وتتخلص من الحجب ، التى رسبها هذا الخوف ، فى صور عقد نفسية ..

الصلاة وسيلة

الصلاة وسيلة ، وليست غاية .. ويجمل بنا هنا ان نقرر حقيقة ، كثيراً ما قررناها ، ولكن تكرار تقريرها مرجو الفائدة ، دائماً .. تلك الحقيقة هى : أن ليست هناك غاية فى ذاتها الا الأنسان .. وكل شىء ، فى الوجود ، انما هو وسيلته ، بما فى ذلك القرآن، والأسلام ، والتشريع .. وماينبغى أن تتردد فى اعتبار الصلاة وسيلة .. بل انه ليتحتم علينا ، لكى ننتفع بها ، أن نعرفها هكذا .. ولقد فصلنا ذلك فى كتابنا : « رسالة الصلاة » .. فى صفحة ٧٤ ، من الطبعة الخامسة .. فليراجع فى موضعه ..

فالصلاة وسيلة ، اذن .. هى وسيلة الى التخلق بالأخلاق الكاملة ــ أخلاق الله ــ ولقد قلنا ان أعلاها « الأحدية » .. و « الأحدية » فى حق العبد براءة ظاهره ، وباطنه ، من الأغيار .. وهذه صفة لا يتم تحقيقها .. وانما يقع ، دائماً ، الترقى فى مراقيها .. وهو ترق سرمدى .. وأقرب ، الى العبد ، من اخلاق الله ، عن «الأحدية» ، «الواحدية» .. وهى ، فى حقه ، تحقيق فرديته التى يتماز بها عن سائر أفراد القطيع .. وهذا انما يتم بتجويد الكلمة : « لا اله الا الله » .. وقد فصلنا القول فى : « لا اله الا الله » فى كتابنا الذى صدر بأسم : « لا اله الا الله » .. وفى أماكن اخرى من كتبنا ، وبخاصة « القرآن » .. فليراجع فى موضعه .. والذى يهمنا هنا هو أن نقرر : ان التوحيد انما هو صفة الموحد ، « بكسر الحاء » لا الموحد « بفتح الحاء » ، وذلك لمكان استغناء الموحد عن توحيد الموحدين ، ولمكان حاجة الموحد لتوحيد بنيته المنقسمة على نفسها .. فبتوحيدنا لله انما نبتغى توحيد بنيتنا .. وادنى مراتب توحيدنا لله ، من وجهة النظر السلوكية ، العلمية ، تتمثل فى وحدة

« الفاعل » .. وباستيقاننا وحدة الفاعل هذه تتحرر من الخوف .. ونستعيض عنه الثقة ، والتطمأنينة ، ورضا البال .. وانما يكون استيقاننا وحدة الفاعل هذه بفضل الله ، ثم بفضل الصلاة ..

نحن نعلم ، بما علمنا الرسل ، أنه : « لا اله الا الله » .. وجميعهم قد جاءوا بها .. وعلمنا في هذا المستوى انما هو علم بالتعلم ، هو علم كسبي ، وهو ، من ثم ، علم قليل الغناء ، الا اذا ما ترسخ في النفس ، وبترسخه في النفس يصبح يقينا .. ولا يقع ترسخه الا نتيجة للممارسة العملية .. فبالممارسة العملية يجيء العلم « الوهبي » ، في مقابلة العلم « الكسبي » .. وهذا العلم « الوهبي » هو « العلم » ، وبه تتأثر الأخلاق في اتجاه ما قال المعصوم : « تخلقوا بأخلاق الله .. ان ربي على صراط مستقيم » وهو هو المعنى بقوله تعالى : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .. قوله : « واتقوا الله » يعني : اعملوا بالشريعة ، وهي العلم الكسبي ، « ويعلمكم الله » العلم « الوهبي » ، أو العلم « اللدني » لأنه من لدن « الذات » ، بلا واسطة .. قال تعالى عن الخضر ، في قصة ماجرى بينه وبين موسى : « فوجدا عبداً من عبادنا ، آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علما » .. هذا العلم اللدني هو « العلم » .. وهو لا يؤخذ الا عن الله « بلا واسطة » .. الأنبياء ، والرسل ، لا يعلمونه .. وانما هم يعلمون الوسيلة اليه .. ولقد جاء في هذا المعنى حديثان ، عن النبي ، مأخوذان عن آية : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .. أولهما : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » .. وثانيهما : « انما أنا قاسم ، والله يعطي .. ومن يرد به الله خيراً يفقهه في الدين .. ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يجيء أمر الله » .. قوله ، في الحديث الأول : « من عمل بما علم » يعني من عمل بالشريعة ، في العبادة ، والمعاملة .. « أورثه الله علم ما لم يعلم » عنى بها علمه الله العلم اللدني ، وهو علم « أسرار الألوهية » .. وحين يوجب العلم « بالشريعة » تجويد « العبادة » ، يوجب العلم « بأسرار الألوهية » تجويد « العبودية » ، وهي الأدب الواجب على العبد ، نحو الرب .. والحديث الثاني أوضح في الدلالة على أن النبي ، انما يعلمنا الوسيلة ، التي بها نتوسل الى منازل العلم « اللدني » .. قال : « انما انا قاسم » ، يعني ، انما أنا معلم « للشريعة » .. قوله :

« والله يعطى » ، يعنى ، والله يعطى « الحقيقة » .. والحقيقة هى أسرار الالوهية .. قوله : « ومن يرد به الله خيراً يفقهه فى الدين » هو لا يعنى « بالفقه» هذا الذى يفنى الناس أعمارهم فى دراسته ، وتحصيله ، الآن .. وانما يعنى : معرفة أسرار الحكمة « الباطنة » ، فى فعل الله «الظاهر» .. وهذه هى ما عنيناها بعبارة : « أسرار الألوهية » التى سلفت الأشارة اليها .. وفى عجز الحديث سر عظيم ، وذلك حيث يقول : « ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ، لايضرهم من خالفهم ، حتى يجىء أمر الله » ..

قال تعالى عن التوحيد ، وعن الصلاة : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً .. اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور * والله خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم جعلكم أزواجا .. وما تحمل من انثى ، ولا تضع ، الا بعلمه .. وما يعمر من معمر ، ولا ينقص من عمره ، الا فى كتاب .. ان ذلك على الله يسير » .. قوله : « اليه يصعد الكلم الطيب » يعنى بالكلم الطيب : « لااله الا الله » .. وصعود الكلم الطيب انما هو ارتفاعها فى المكانة ، تحقيقاً فى قلوب الموحدين ..

فان : « لا اله الا الله » أولها عندنا ، فى الأرض ، وآخرها عند الله ، فى اطلاقه .. والى ذلك الأشارة بقوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الا هو ، والملائكة ، وأولو العلم ، قائماً بالقسط ، لا اله الا هو ، العزيز الحكيم » .. هذه هى شهادة التوحيد ، فى مراتب التنزل .. فقد شهد الله بذاته ، لذاته ، فى اطلاقه ، « بالوحدانية » ، وهى « الأحدية » المطلقة .. « شهد الله أنه لااله الا هو » .. ثم تنزلت الشهادة ، من هذا الأطلاق ، الى مرتبة الملائكة ، فشهدوا « بالوحدانية » لله ، وهى درجة دون سابقتها ، بما لايقاس .. وقد شهدت الملائكة فى السموات ، وفى الأرض .. ثم تنزلت الشهادة الى أولى العلم ، فى الأرض ، فجاء قولنا : « لا اله الا الله » .. وهى شهادة جاء بها جميع الرسل ، يتفقون فى « اللفظ » ، ويختلفون فى « التحقيق » .. وهى شهادة دون شهادة الملائكة ، ولكنها متطورة فى «التحقيق» ، صاعدة نحو الله ، تبتغى أن تشهد « بوحدانية» الله ، كما شهد الله لذاته ، بذاته ، فى اطلاقه ..

وهيهات !! ومهما يكن من شيء ، فان هذاهو تكليف العبـاد ..وشهادة الملائكـة بوحدانية الله ليست قيمتها للملائكة ، الافى معنى اعانتهم على أداء واجبهم فى اعانة الناس على تحقيق هذا التوحيد .. تنزلت الشهادة : « لا اله الا الله » لنرقى عليها ، ونصـعد بها ، الى الذاكـر ، المذكـور ،والشاهد ، المشهود . . فنحن فى صعودنا فى سلم هذا التوحيد لا نخدم غير ذواتنـاوذلك باحراز وحدة بنيتنا .. قولـه : « والعمل الصالح يرفعه » عنـى بالعمـل الصالح عمل الخير ، والبـر ، بالأحيـاء والأشياء ..وأعلى«العمل الصالح» الذى يرفع «الكلم الطيب » ، انما هو الصلاة .. ولقد قلنا : ان رفع « الكلم الطيب » انمايعنى استيقانه فى صدور الذين أوتوا العلم.. ولا يقع الأستيقان الا بممارسة العمل ..فاذا اسـتيقنا العلم بالله ، تحـررنا مـن الخوف ، الذى دفعـه ، الى صـدورنا ،الحرص على الحياة ،وعلى الرزق ، وجهلنا بحقيقة الأمر ، على ما هو عليه .. وقـدقلنا ان أدنى منازل العلم بحقيقة : « لا اله الا الله » ، لدى السالكين ، المجودين ، انماهو شهود وحدة « الفاعل » .. فان نحـن شهدنا ، فى هذه المرتبـة ، قوله : «قل: لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا .. هو مولانا .. وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، شـهوداًذوقياً ، وآمنا بقوله تعالى : « كتب عليكم القتال ، وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً ، وهو خير لكم ، وعسى أن تحبـوا شيئاً ، وهو شر لكم ، والله يعلم ، وأنتم لاتعلمون » ايمانا قوياً ، يوشك أن يذهب عنا الحزن ، وأن تطمئن قلوبنا ، وان تتحرر من الخوف .. ومن أجل هذا التطمين ، الذى هو سبيل التحرير من الخوف ، جاء ، فى صدر الآية ، التى تذكر : « الكلم الطيب » و « العمل الصالح » ، جاء بقوله : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً» .. وهو، لتوكيد وحدة الفاعل هذه ، قد ساق ،قبل هذه الآية ، آيتين تقرران أنه الفاعـل « للخـير » و « للشر » ، قال تعـالى فيهما : « أفمـن زين لـه سـوء عمله فرآه حسناً ؟؟ فان الله يضل من يشـاء ،ويهدى من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .. ان الله عليم بما يصـنعون * والله الذى أرسل الرياح ، فتثير سحاباً ، فسقناه الى بلد ميت ، فأحيينـا به الأرض بعد موتها ، كذلك النشور » .. هكـذا قال ، قبل أن يجىء بالآيـة التى تذكـر : « الكلم الطيب » ، « والعمل الصالح » ..

وهاتان الآيتان شديدتا الدلالة ،والوضوح ، أيضا ، فى تقرير وحدة الفاعل .. ثم هو يلحق ، لزيادة هذا التقرير ، بالآية التى تذكر : « الكلم الطيب» ، و «العمل الصالح » آية ، هى أيضاً شديدة الدلالة ،وشديدة الوضوح ، فى أمر وحدة الفاعل ، وهى قوله ، وقد أوردناها من قبل : « والله خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم جعلكم أزواجاً .. وما تحمل من أنثى ، ولا تضع،الا بعلمه .. وما يعمر ، من معمر ، ولا ينقص من عمره ، الا فى كتاب..ان ذلك على الله يسير » ..

طريق العودة

الأنسان عن الله صدر ، والى الله يعود.. قال تعالى : «يأيها الناس!! اتقوا ربكم، الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ، ونساء .. واتقوا الله الذى تساءلون به ، والأرحام..ان الله كان عليكم رقيباً » .. هذه « النفس » الواحدة هى « نفسه » تبارك ،وتعالى ، فى المكان الأول ، ثم هى نفس «آدم» ، فى المكان الثانى .. وعندما يقول، سبحانه وتعالى: «كلا !!ان الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * ان الى ربك الرجعى » انما يشير «بالرجوع» الى «الصدور» الأول .. وليست الرجعى الى الله بقطع المسافات، وانما هى بالعلم بالله .. هى بتقريب صفات العبد من صفات الرب..ذلك بأننا نشبهه ، وقد خلقنا على صورته.. هو، سبحانه وتعالى ، حى ، وعالم ،ومريد،وقادر ، وسميع ، وبصير ، ومتكلم .. ونحن ، كل واحد منا ، قد جعله الله حياً ،وعالماً ، ومريداً ، وقادراً ، وسميعاً ، وبصيراً ، ومتكلماً .. بيد أن صفاته ،سبحانه وتعالى ، فى نهاية الكمال ، وصفاتنا فى طرف النقص .. والمراد «بالرجعى» أن نحاول تكميل صفاتنا هذه حتى تنطبق على صفاته .. وهيهات !! وهذا الصنيع هو ،فى الواقع ، تكليفنا الأساسى .. بل هو جماع كل التكاليف .. وهذا هو المعبر عنه بقوله ، سبحانه وتعالى: «وأن الى ربك المنتهى» .. وهو المراد بقوله ، سبحانه وتعالى : « يأيها الأنسان !! انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » .. وهو أيضا المقصود من قول المعصوم : «تخلقوا

باخلاق الله .. ان ربى علـــى سراط مستقيم » .. ولقد خلق الأنســان كاملا فى «الملكوت» ، ثم رد الى «الملك» ، ليرقى « بملكــه » الى (ملكوته) ، فيكون ملكــا فى مملكته .. قال تعالى : « لقد خلقنا الأنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أســفل سافلين * الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات .. فلهم أجر غير ممنون » .. ومعنى عالم « الملكوت » عالم « الأرواح » ــ عالم العقول ــ عالم العلــم ، والارادة .. ومعنى عالم « الملك » عالم «الأجساد» .. وفى عالم الملكوت العلم ، أو العقل ، ظاهر متميز .. وفى عالم الملك العلم ، أو العقل ، كامن فى الجسد .. وقد ســير الخــوف الأجساد فى المراقى حتى ابرز منها عقولها ، وعلومها ..

ان الأنسان لم يبرز فى عالم الملك مكتملا ، كما يفهم علماء الدين من ظاهر النص ، وانما برز بصورة بدائية ، سحيقة فى البدائية .. برز فى صورة ذرة غاز الهيدروجين .. وهذه هى عبارة : « أسفل سافلين » التى أشار اليها تعالى فى قوله : « لقــد خلقنا الأنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل ســافلين * الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون » .. ومن : «أسفل سافلين» اتخذ الأنسان طريق الرجعى الى «أحسن تقويم» .. وفى مرحلة معينة برزت الحياة بعد أن كانت كامنة . وبروز الحياة هو بروز المادة العضوية من المادة غــير العضوية .. وادنى درجات الحياة ، التى نسميها اصطلاحا حياة ، أن يكون الحى شاعرا بحياته .. وآية ذلك أن يتحرك حركة تلقائية ، وأن يتغذى ، وأن يتناسل بصورة من الصور .. وقد بدأت هذه الحياة بحيوان «الخلية» الواحدة .. وهذه «الخلية» الواحدة انما تمثل الأنسان ، فى منزلة متقدمة من منازل سيره فى طريق الرجعى .. وبهذه الخطــوة الجليلة ، والخطيرة ، افتتح عهد جديد .. عهد عظيم .. عهــد الحياة ، والموت .. وبعهد الحياة ، والموت هذا ، دخل الخــوف فى المنطقة .. وبدأت الحياة تنقسم .. وهذه القسمة تمثل بداية ظهور اللطيف من الكثيف .. وهــذه هى بداية الأدراك .. وقد كان الأدراك البدائى يتمثل فى الحس .. وكان حيوان «الخلية» الواحــدة ، (اقرأ الأنسان) يحس بكل جسده الرخــو .. ثم تعقدت الحياة ، وارتقت ، ورهف احساسها بالخطر الذى يتهددها ، فظهرت الحاجة الى الوظائف المختلفة ، فكان على

الجلد أن يتكثف ، ويغلظ ، ليكون درقة ، ودرعا .. وكان على بعض اعضاء الجسد ، غير الجلد ، أن تقوم بوظيفة الحس .. وهكذا بدأ نشوء الحواس . ونحن ، لطول ما ألفنا الحواس الخمس ، نتورط فى خطأ جسيم اذ نظن أن الأحياء قد خلقت ، وحواسها الخمس مكتملة .. والحق غير ذلك ، ذلك بأن الحواس قد ظهرت ، الواحدة تلو الأخرى ، وذلك كلما ارتقت الحياة ، وتعقدت وظائف أعضاء الحى .. ففى البدء كان اللمس بالجسم كله — بالجلد — ثم لما توظف الجلد فى الوقاية خصصت بعض الأجزاء فى اللمس .. ثم ارتقت وظيفة الحس لما احتاج الحى للمس الخطر ، والخطر على البعد .. فامتدت هذه الوظيفة امتدادا لطيفا ، فكان السمع ، ثم كان النظر ، ثم كان الذوق ، ثم كان الشم .. وليس هذا بترتيب ظهور للحواس ، ولا هو بترتيب اكتمال .. فان بعض الأحياء يحتاج لحاسة معينة ، أكثر من احتياجه للاخريات ، فتقوى هذه على حساب اولئك ، مع وجود الأخريات بصورة من الصور .. ونشوء هذه الحواس ، وظهورها ، وقوتها ، تمثل منازل معينة ، من منازل حياة الأنسان ، وهى راجعة الى مصدرها .. « وأن الى ربك الرجعى » .. والآن !! فان الحيوانات العليا ذات خمس حواس .. وان ، فى الأنسان ، الحاسه السادسة ؛ والحاسة السابعة ، فى أطوار الأكتمال .. ولا يكون ، بعد الحاسة السابعة ، تطور فى زيادة عدد الحواس ، وانما يكون تطور فى ترقيها ، وكمالها .. وهذا لا ينتهى ، فانما هو سرمدى .. والحاسة السادسة هى العقل ، حين يقوى ، ويستحصد ، ويوحد معطيات الحواس المختلفة ، حتى يكون ، بقوة هذا التوحيد ، لدى ادراكه لأى شىء ، كأنه يحسه ، ويسمعه ويراه ، ويذوقه ، ويشمه ، فى آن واحد .. وأما الحاسة السابعة فهى القلب .. وفى حين أن وظيفة العقل الأدراك ، فان وظيفة القلب الحياة .. وجميع الحواس ، وعلى رأسها العقل القوى ، انما هى خدم لهذه الحاسة .. وهى قد خرجت منها ، فى صورة طلائع ، تستكشف الطريق ، وتؤمن خط سير الرجعى .. وكانت دواعى الخوف كثيرة .. وقد ذكرنا : ان الخوف قد كان صديقا فى ثياب عدو .. والمحاولة ، كل المحاولة ، أن ندرك حقيقة الخوف ، وكيف أنه صديق . وننتهى

الى المواءمة بيننا وبين بيئتنا ، لا العداء ، والمناجزة .. ولا يستقيم لنا ذلك الا عندما تقوى العقول ، فتدرك الأمر ، على ماهو عليه ، ويومئذ يحل الحب ، والأنس ، محل الخوف .. ويومئذ ينطلق القلب من الانقباض الذى أورثه اياه الخـــوف ، فيدفع ، بانطلاقته هذه ، دم الحياة قويا ، الى كل ذرات الجسد ، وكل خلايا الجلد ، تلك التى كان الخوف قد حجرها ، وجعل منها درقة ، ودرعا لوقاية الحياة البدائية .. ويومئذ يعود الشعور لكل الجسد ، ويعود الحس المرهف لكل الجلد .. فيكون الجسم حيـــا كله ، لطيفا كله ، جميلا كله .. وتكون أرض الجسد الحى ، يومئذ ، هى المعنية بقوله تعالى: « وترى الأرض هامدة ، فاذا أنزلنا عليها المـــاء اهتزت ، وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج .. » .. قوله : «من كل زوج بهيج» اشـــارة الى الحواس .. فاذا بلغنا هذه المرحلة فقد بدأنا نرد المورد الذى عنه صدرنا ، يوم قال عنا ، عـــز مـــن قائل : « قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .. وقد جاءنا هذا الهدى بالتوحيد ، والصـــلاة : « اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصـــالح يرفعه .. » .. وانما نرد ، بظهـــور الحاسة السابعة ، مورد الحياة الكاملة .. وليس للحياة الكاملة نهاية كمال ، وانما كمـــالها ، دائما ، نسبى .. وهى منطلقة دائما ، متطورة دائما ، تطلب الحياة المطلقة الكمال ، عند الكامل المطلق الكمال ـــ عند الله ـــ وهذا مطلبها السرمدى ..

ان التوحيد ، كلمة : «لا اله الا الله» حولها نشأ القرآن .. حتى لقـــد قيل : ان آيات القرآن جميعا قد جلست للهاربين من الله فى الطرقات ، تردهم اليه ، بوعدها ، وبوعيدها .. واتجه التوحيد الى تخليص الحى من الخوف .. فبدأ بتوحيد الخوف .. قـــال تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه .. فلا تخافوهم .. وخافونى ، ان كنتم مؤمنين » .. وجاء : «رأس الحكمة مخافة الله» .. قال تعالى ، فى الخوف من الله ، فى المرحلة الأولى ، وفى الخلاص من هذا الخوف ، فى المرحلة الثانية : «الله نزل أحسن الحديث ، كتابا ، متشابها ، مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشـــون ربهم ، ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم ، الى ذكر الله .. ذلـــك هدى الله . يهـــدى به

من يشاء .. ومن يضلل الله فما له من هاد ..» قوله تعالى : «تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم» ، اشارة الى الخوف الذى ، فى أوليات الحياة ، كشف الجلد لحماية الحياة ، كما سبق أن قررنا .. قوله تعالى : « ثم تلين جلودهم » ، اشارة الى الطمأنينة من الخوف التى يثمرها العلم بحقائق الأمور ، حيث ليس للخوف مكان ، وانما المكان للحب ، والأنس .. ولذلك فقد أشار تعالى بقوله : « ذلك هدى الله .. يهدى به من يشاء » ومن لم يهتد الى العلم بحقائق الاشياء ، كما هى عليه ، فسيظل فى خوف مستمر .. ولذلك فقد أشار ، تبارك وتعالى ، بقوله : « ومن يضلل الله فماله من هاد » .. فكأنه قال فما له من هاد يهديه الى الأمن من الخوف .. وفى قوله : « ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم الى ذكر الله » جماع الأمر .. فان القلب هو قوام الحياة .. بل هو الحياة المعتبرة ، عند الله ، والتى بها فضل الأنسان ، وساد ، سائر الأكوان .. قال تعالى ، فى حديث قدسى : « ما وسعنى أرضى ، ولا سمائى .. وانما وسعنى قلب عبدى المؤمن » .. وليس الوسع ، هنا ، وسع مكان ، وانما هو وسع المعرفة .. فاذا ما فاض القلب بهذه المعرفة دفع دم الحياة ، قويا ، الى كل ذرات الجسد ، وكل خلايا الجلد .. فحيى الحى الحياة الكاملة ، التى لا يؤوفها المرض ، ولا الموت .. والمعرفة بحقائق الأشياء ، كما هى عليه ، تقول : ان الوجود ، فى أصله خير كله .. لا مكان للشر فى أصل الوجود ، وانما الشر فى مظهره .. وسبب الشر هو جهلنا بهذه الحقيقة .. ومن ثم ، فليس هناك ما يوجب الخوف ، الا هذا الجهل .. وليس الجهل بضربة لازب علينا ، وانما نحن نخرج عنه ، كل حين ، الى العلم ، وذلك بمحض فضل الله علينا .. قال تعالى : « هو الذى يصلى عليكم ، وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور » .. ونحن لا نستطيع أن نبلغ من استيقان هذه الحقيقة بعض ما نفضى به الى الحب ، بدلا من الخوف ، الا اذا أخذنا من الله بلا واسطة — الا اذا علمنا العلم اللدنى — وليس الى ذلك العلم من سبيل الا اذا اتقينا الله .. ونحن لا نستطيع أن نلقاه الا اذا عشنا متحلين بأدب الوقت . وهو أن نعيش فى « اللحظة الحاضرة » ، غير مشتغلين بالماضى ، ولا بالمستقبل .. وهذا هو أدب « القرآن »

الذى يسعى لتأديبنا به .. وهو هو مقتضى التوحيد .. قال تعالى : « ما أصاب من مصيبة ، فى الأرض ، ولا فى أنفسكم ، الا فى كتاب ، من قبل أن نبرأها .. أن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم .. والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون ، ويأمرون الناس بالبخل .. ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد » .. وهذا الأدب هو ما من أجل تحقيقه فرضت الصلاة .. بل انه لهو الصلاة .. وسيرد الحديث عن « أدب الوقت » فى موضع آخر ، من كتابنا هذا .. وأيسر ما يقال عنه هنا : أن كل الوسائل انما شرعت لتجعله ممكنا .. ولذلك ، فان المعرفة بحقائق الاشياء ، كما هى عليه ، تقرر أمرا ثانيا وهو : أن الناس أشراك فى خيرات الأرض ، وأشراك فى تولى السلطة ، لتكون « وسيلة » المجتمع قائمة على « الأشتراكية » ، و « الديمقراطية » وعلى بنتهما الشرعية ـ العدالة الأجتماعية .. ذلك بأن المجتمع أقوى الوسائل ، بعد وسيلة الأسلام ، ووسيلة القرآن .. وهو لن يبلغ التوسل به الى تحرير الانسان من الخوف غايته هذه الا اذا بنى على أسس تؤمن الأنسان على رزقه ، وعلى حريته ، وعلى كرامته .. ومن ههنا : الأشتراكية ، والديمقراطية .

الفكـــــر :

الفكر هو طريق العودة .. فليس بيننا وبين الله مسافات نقطعها ، وانما بيننا وبينه حجب نرفعها .. والفكر هو طريق رفع الحجب .. وهذه الحجب الحائلة بيننا وبين الله تقع فى مستويين : مستوى حجب الظلمات ، ومستوى حجب الأنوار . وانما جاء الدين ، بأوامره ، ونواهيه ، ليؤدب العقل بأدب الشريعة ، وبأدب الحقيقة ، حتى يستقيم ، فلا يميل ، يمنة ، ولا يسرة .. ذلك بأن الجولان السريع بين اليمين واليسار هو آفة الفكر .. فقد كانت النفس صماء ، ففتقها الخوف ، ونتيجة لهذا الفتق نشأ العقل .. والفكر انما هو وظيفة العقل .. الفكر هو جولان العقل بين الذاكرة والخيال .. أو قل : بين النفس ، والروح .. والروح انما هى الطرف اللطيف من النفس .. وصحيح ، أيضا ، التعبير بأن النفس انما هى الطرف الكثيف

من الروح . آفة الفكر ، كما قلنا ، هى خفة جولانه بين طرفين : فى احدهما الأفراط وفى ثانيهما التفريط .. والفكر السليم هو الفكر المستقيم فى نقطة الجمع بين الأفراط والتفريط .. ونقطة الجمع بين الأفراط والتفريط هى المسماة بالأستقامة .. وهى هى السراط المستقيم الذى وردت الأشارة اليه فى أم الكتاب : « اهدنا السراط المستقيم * سراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين » .. هذا : « السراط المستقيم » هو السواء ، الوسط ، بين طرفين ، فى أحدهما : «المغضوب عليهم» ، وهم «المفرطون» فى «المادية» ، وفى ثانيهما (الضالين) وهم «المفرطون» فى «الروحانية» . والاستقامة أعز مطالب الرجال ، لأنها هى مرتبة الوجود الكامل ، الذى لا يتوزعه الوهم بين ماض قد انقضى ومستقبل غائب ، لما يحن حينه بعد .. فالاستقامة هى العيش فى «اللحظة الحاضرة» .. فان أنت استطعت أن تعيش فى «اللحظة الحاضرة» مشتغلا بتجويد الواجب المباشر ، من غير أن تذهب نفسك أسفا على الماضى ، ولا خوفا من المستقبل — من غير أن يستخفك النصر ، اذا نجحت ، أو أن يقتلك اليأس ، اذا أخفقت ، فانك تكون قد وردت معين الحياة الكاملة ، التى منها صدرت ، فى سحيق الآماد .. وتكون بذلك مستمتعا بكمال حياة الفكر ، وكمال حياة الشعور ، فى داخل حصن آمن ، ليس للشر اليه من سبيل .. هنالك الحياة الآمنة ، من جميع الآفات ، من المرض ، ومن الشيخوخة ، ومن الموت .. ذلك موعود الله ، وانما ينال موعود الله بفضل الله ، « والله ذو الفضل العظيم » ، ثم بفضل الفكر السليم ، المستقيم .. والأستقامة أصعب الأمور على العارفين .. ولذلك فقد قال المعصوم : « شيبتنى هود وأخواتها » قالوا : يشير بذلك الى قوله تعالى من سورة هود : « فاستقم كما أمرت ، ومن تاب معك ، ولا تطغوا .. انه بما تعملون بصير » وفى مقام الاستقامة يحصل « التوقف الفكرى » . و « التوقف الفكرى » هو ما يعرف « برفع حجاب الفكر » .. وبرفع حجاب الفكر هذا يتم الشهود الذاتى .. والشهود الذاتى هو ما اتفق للنبى الكريم ، فى المعراج العظيم ، بعد أن تخلف جبريل ، عند سدرة المنتهى .. وفى هذا المقام — مقام الشهود الذاتى —

فرضت صلاة «الصلة» .. وقد حكى القرآن عن حالة النبى ، فى ذلك المقام ، فقال : «اذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر ، وما طغى» قوله : «مازاغ البصر ، وما طغى» اشارة الى عدم جولان فكر النبى بين الماضى والمستقبل .. فكأنه أشار الى رفع حجاب الفكر ، فقد كان النبى ، فى هذا المقام ، وحدة ذاتية ، فى وحدة زمانية ، فى وحدة مكانية — خرج عن الزمان ، والمكان ، فرآى من لا يحويه الزمان ، ولا المكان — رآى ذات الله .. وهو قد قال ، عن هذا المقام ، يصف وحدة ذاته : «ليلة عرج بى انتسخ بصرى فى بصيرتى ، فرأيت الله» .. ثم أن النبى ، عند عودته ، وعند نزوله الى مقام سدرة المنتهى ، فرضت عليه « الصلاة الشرعية » صلاة « المعراج » وأمر أن يعرج بها ، فى ليله ونهاره ، يبتغى أن يبعثه الله ذلك المقام الذى بلغه فى لحظة « الجمعية الذاتية » فى مقام الاستقامة المطلقة ، أو تكاد ، حيث : « مازاغ البصر ، وما طغى » ..

والفكر مؤوف بآفات لا حصر لها ، وسببها ، جميعها ، الخوف .. والطمع طرف من الخوف .. والهوى صنو الطمع .. وانما جاء الدين — الأسلام والقرآن — ليطب لآفات الفكر .. ولذلك فقد بدأت الشريعة بتقرير حقيقة كبرى ، حواها قول المعصوم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .. وقد جاء فى مقدمة كتابنا : « اسئلة واجوبة » ، الكتاب الأول الطبعة الاولى ، شىء عن تسديد الدين للعقول لتستوى ، وتستحصد ، يحسن بنا أن نسوقه للقراء ههنا :

(الأسلام والقرآن وسيلة وانما ، من أجل رياضة العقول على « أدب الحق » و « أدب الحقيقة » ، حتى تقوى على دقة التفكير ، جاء الأسلام ، وأنزل القرآن وشرعت الشريعة .. فأنت ، اذا سئلت عن الأسلام ، فقل لهم : انه منهاج حياة ، وفقه تراض العقول ، لتقوى على دقة التفكير .. والله ، تبارك وتعالى ، يقول ، فى ذلك : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل أليهم .. ولعلهم يتفكرون » .. قوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر » يعنى القرآن المحتوى على الحقيقة ، كلها ، وعلى الشريعة ، كلها .. الحقيقة التى هى أعلى من مستواك ، والحقيقة التى فى مستواك ،

والحقيقة التى فى مستوى أمتك .. وعلى الشريعة التى هى فى مستواك ، والشريعة التى فى مستوى أمتك ــ قوله تعالى : « لتبين للناس ما نزل اليهم » يعنى لتفصل لهم الشريعة التى يحتاجونها ، وطرفا من الحقيقة التى يطيقونها ، مما يزيد فى فهمهم ، واحترامهم للشريعة .. قوله تعالى : «و» .. من قوله تعالى : «ولعلهم يتفكرون» ، يعنى مرهم أن يعملوا بالشريعة ، بعقول مفتوحة ، وقلوب حاضرة .. قوله تعالى : «لعلهم يتفكرون» هو المعلول ، وراء كل العلل ، والمطلوب ، وراء كل المطالب ، والمقصود ، وراء كل المقاصد .. يتفكرون فى ماذا ؟؟ فى السموات والأرض ؟؟ لا !! ليس فحسب !! فانما هذا تفكير مقصود لغيره .. مقصود بالحوالة !! وأما التفكير المقصود بالأصالة فهو تفكيركم فى أنفسكم .. قال تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين ❊ وفى أنفسكم !! أفلا تبصرون ؟؟ » ..

رياضة العقول :

والآية التى صدرنا بها هذه المقدمة انما جاءت بسبيل من رياضة العقول ، حتى تقوى على دقة الفكر ، وحريته .. « يأيها الذين آمنوا » ، يعنى الذين استقبلوا الدين بالعقيدة ، ولم يستيقنوه بالفكر ، فيصبحوا « مسلمين » .. «ان تتقوا الله» يعنى ان تعملوا بالشريعة ، فتأتمروا بالأمر ، وتنتهوا عند النهى .. «يجعل لكم فرقانا» ، يعنى نورا فى عقولكم ، به تفرقون بين الحق والباطل .. يعنى يجعل لكم مقدرة فى عقولكم ، بفضل التقوى ، بها تقوون على التفكير الدقيق ، والتمييز السليم ، بين ما يليق وما لا يليق . بين الحلال والحرام «الحرام ما حاك فى نفسك ، وخشيت أن يطلع عليه الناس» .. والتقوى «شجرة» ، والفرقان «ثمرة» ، وبقدر ما تدق التقوى يدق الفرقان ، ويقوى .. فالتقوى تبدأ من صورتها الغليظة ، ثم تسير نحو الدقة .. وكذلك الفرقان ، يبدأ من بداية بسيطة ، وضعيفة ، ثم يسير نحو الدقة ، والقوة ، تبعا لسير التقوى .. وصورة التقوى ، والفرقان ، ومسيرتهما ، نحو الدقة ، من الغلظة ، يحكيها ، أحسن حكاية ، الحديث الشريف : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى

الشبهات ، فقد استبرأ لدينه ، ولعرضه .. » .. فكأن التقوى ، فى بدايتها ، لا تحتاج الى كبير عناء ، وكذلك قوة العقل ، المميزة بين الحلال والحرام ، لا تحتاج الى شدة دقة .. ثم يبدأ السير ، من الطرفين الغليظين ، نحو الوسط — نحو منطقة الأمور المشتبهات — وهى منطقة فيها تبدأ الحاجة الى قوة فكرية ، زائدة ، بها يقع التمييز بين الحلال والحرام .. وفيها أيضا تبدأ الحاجة الى قوة فى الارادة ، زائدة ، بها تقوم القدرة على فعل ما هو به مأمور ، وترك ما هو عنه منهى .. وتصبح التقوى ، ههنا ، علما ، وعملا بمقتضى العلم .. أو قل ، تصبح قوة على التمييز ، ومقدرة على التركيز ، حسب ما يمليه التمييز ..

مستويات التقوى والفرقان :

التقوى اذن مستويات ، وللفرقان مستويات تقابلها ، فانه ، كما قررنا ، التقوى شجرة ، والفرقان ثمرة .. « وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم » ..

وأغلظ مستويات التقوى ما يكون للمؤمن العادى ، وهو مستوى الحلال البين ، والحرام البين .. وبينهما يتأرجح «بندول الفكر» .. وأول منزلة تلى منزلة المؤمن العادى ، منزلة الورع .. الورع هو الحذر ، الشديد الحذر ، المتيقظ الوجدان ، الشديد التيقظ .. فهو لا يعمل الا اذا علم ، وهو قليلا ما يعلم ، وذلك لزيادة شكه على علمه ، ولذلك قيل عنه : انه هو الذى يترك سبعين بابا من الحلال خوف الحرام . يترك ما لا بأس به ، خوف ما به بأس .. وهذه مرحلة هامة جدا من مراحل التنبه الفكرى ، تلى التبلد الفكرى ، الذى يكون عليه المؤمن العادى .. ثم تكون المنزلة الثالثة ، وهى تلى منزلة الورع ، وهى منزلة صاحب اليمين .. وفيها ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة فى المنزلتين السابقتين ، يكون السالك قوى الفكر ، قوى العزيمة .. لا تتلبس عليه وجوه الرأى ، فهو يدرك بسرعة ، ويميز بدقة ، ويحمل نفسه على العمل بعزائم الأمور .. وهو انما سمى صاحب اليمين لأن عمله ضد رغائب نفسه ، فى غالب أحواله ، كأنه ضد صاحب الشمال . ثم تلى هذه المنزلة ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة فى المنازل السوابق ، منزلة البر ، والبر اكثر ادراكا من صاحب اليمين ، وأكثر تسامحا ، فهو رفيق بنفسه ، وبالناس ، وذلك بفضل سعة علمه .. فان

صاحب اليمين ، حين قبضته بقية الورع الذى ورثه من منزلة الورع ، التى خرج عنها ، ولما يتخلص من عقابيلها ، بسط العلم صاحب منزلة الأبرار .. فترى البر سمحا ، متسامحا ، واسع الأفق ، يرى الوجوه المختلفة لكل قضية فكرية ، أو سلوكية ، تعرض عليه ، بطريقة فيها سعة ، وفيها دقة .. ثم تلى منزلة البر منزلة المقرب .. والمقربون هم الذين يكونون عند ربهم ، غالب أحوالهم ، وهم علماء ، قد وسع العلم عليهم ما ضيق الجهل على سواهم .. فأصبحوا ، بفضل الله ، ثم بفضل سعة علمهم ، رحماء ، طيبين ، متسامحين ، محبين للاشياء ، والاحياء ، فى سلام مع ربهم ، ومع أنفسهم ، ومع الناس .. يدعون الى الرضا بالله ، والمصالحة مع الناس ، وينشرون الحب ، كما تنشر الشمس النور ، والحرارة ، والدفء .. هؤلاء هم ملح الأرض ، عرفوا ، أو لم يعرفوا .. وتقوى هؤلاء هى عمل ، أو ترك للعمل ، ابتغاء وجه الله .. وزمنهم فكر متصل .. فجميع أوقاتهم معمورة بالفكر ، والعمل .. وفكرهم ليس تعملا ، وانما أصبح طبيعة ، تنبع فيهم المعانى ، والمعارف ، كما ينبع الماء النمير من العين الثرة ، وقد تطهرت من أوساخها ، وأوضارها .. وعبادة المقربين الاستقامة .. والاستقامة أن تكون على السراط المستقيم ، فى الفكر ، والقول ، والعمل ، فلا تميل يسرة ، ولايمنة .. ولا تتم الاستقامة الا لمن تخلص من ذنبه ، ما تقدم منه ، وما تأخر .. وهيهات !! ولكن هذا موعود الله لأهل قرباه : وموعود الله لابد آت ، فوعده ، تعالى ، غير مكذوب .. ولقد قال فى الآية التى صدرنا بها هذه المقدمة : « يأيها الذين آمنوا !! ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم » .. قوله تعالى : « ويكفر عنكم سيئاتكم » يعنى يغفر لكم خطيئاتكم الموروثة من لدن آدم .. وتلك تتمثل فى الكبت على العقل الباطن المتوارث عبر التاريخ البشرى .. قوله تعالى : «ويغفرلكم» يشير الى الخطيئة المكتسبة ، فى مقابلة الخطيئة الموروثة .. والخطيئة المكتسبة تتمثل فى الكبت الواقع على العقل الباطن ، المكتسب اثناء عمر أحدنا .. وانما يكون التكفير والمغفرة برفع هذا الكبت ، الموروث ، والمكتسب ، وانما يكون رفع الكبت «بالفرقان» .. بنور العقل القوى الذى يتخلل السراديب المظلمة ، حيث ترقد الرغائب المكبوتة

على حواشى العقل الباطن خلال ملايين السنين .. وقد سمى ، تبارك وتعالى ، هذه السراديب المظلمة حول العقل الباطن « بالرين » ، واليها نسبب غفلتنا ، وجهلنا ، وحجبنا عن الحقيقة ، فقاله ، تبارك وتعالى : «كلا !! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا !! انهم ، عن ربهم ، يومئذ ، لمحجوبون » .. فبقدر ما يرفع هذا « الرين » ـ هذا الكبت ـ بقدر ما تكون قوة العقل ، ودقة الفكر ، ووحدة البنية البشرية .. وأصحاب هذه البنية الموحدة هم أصحاب العقول التى ، بقوة فكرها ، تفلق الشعرة ، وتملك التمييز بين فلقتيها : أيهما أبيض ، وأيهما أسود .. وبقدر قوة التمييز تكون سلامة السلوك ، وسلامة القلب ، وصفاء الذهن)

انتهى ما جاء فى مقدمة كتابنا : « اسئلة واجوبة » .. ههنا ست درجات من درجات القرب من الكمال .. ينزلها النازل وهو يسير فى طريق العودة ، هذه ست درجات أولاها درجة المؤمن العادى الذى يكون فى مستوى الحلال ، وثانيتها درجة الورع ، وثالثتها درجة صاحب اليمين ، ورابعتها درجة البر ، وخامستها درجة المقرب ، وسادستها درجة صاحب الاستقامة ، وهو ، هو الكامل .. وهذه الدرجات الست هى فى مقابلة النفوس السبع ، غير أن النفس «الأمارة» لاذكر لها هنا ، لأنها دون مرتبة المؤمن العادى .. فكأن المؤمن العادى فى مقابلة النفس « اللوامة » .. وكما أنه ليس للكمال نهاية ، فليست للاستقامة نهاية ، .. وكل مستقيم يعرف تقصيره عن بلوغ المدى المطلوب من هذا الأمر الخطير .. وهذا ما جعل المعصوم يقول : « شيبتنى هود وأخواتها » ، كما ذكرنا .. وكل هذه المراتب التى ورد ذكرها انما يبلغنا اياها العلم ، والعمل بمقتضى العلم .. وأعلى العلم التوحيد ، وأعلى العمل الصلاة ..

الفكر هو السنة ..

لقد كرم الأسلام الفكر كل التكريم ، وأعظمه كل الأعظام .. قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم .. ولعلهم يتفكرون » قوله ، تبارك وتعالى : «وأنزلنا اليك الذكر» يعنى القرآن كله .. قوله : «لتبين للناس ما نزل اليهم» يعنى لتوضح للناس ، بالتشريع ، وبالتفسير ، ما نزل الى مستواهم من جملة القرآن ..

قوله : « ولعلهم يتفكرون » هو الغرض المطلوب من ارسال الرسول ، ومن انزال القرآن ، ومن تشريع الشريعة .. فلكأن الأسلام كله انما هو نهج لتحرير الفكر ، ولتسديد الفكر .. ولقد قال المعصوم : « تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة » ثم ان « السنة » القبوية المشرفة انما كانت نهجا مرسوما لمحاربة العادة ، ولأيقاظ الفكر .. يجرى هذا منها فى أبسط المستويات ، وأيسرها ، مما يستوى فى المشاركة فيه الأمى الجاهل ، والمتعلم .. فهو قد كان ، فى حركاته وسكناته ، يقدم ميامنه على مياسره .. كان يفضل الميامن ويخصها بالبر .. كان اذا دخل على بيت الخلاء ، مثلا ، يقدم شماله ، ويؤخر يمينه .. فاذا قضى حاجته ، وخرج ، قدم يمينه .. وكان ، اذا دخل المسجد ، قدم يمينه .. واذا خرج قدم شماله .. وكان اذا كان قائما على فراش وثير ، هو أوطأ من النعل ، وأراد أن ينتعل نعله ، قدم رجله اليسرى .. واذا كان الفراش الذى تحت قدميه غليظا والنعل أوطأ منه قدم رجله اليمنى .. وكان اذا اضطجع استقبل القبلة ، ويتوسد يده اليمنى .. فبمثل هذا الصنيع البسيط يتحرك الفكر ، وينشط ، وتدخل فى الأعمال الروح .. وبهذه البداية البسيطة يسلك السالك لنهج « السنة » طريق الحكمة .. ذلك لأن الحكمة انما هى وضع الشىء فى موضعه .. وتفضيل الفاضل على المفضول من الحكمة ، لأنه وضع الأشياء فى مواضعها .. وهذه البداية البسيطة تتداعى بنا الى أعلى القمم ، لأن العبودية ، وهى أعلى مراتب السالكين ، انما هى وضع الشىء فى مكانه ، انما هى تقديم الفاضل على المفضول ، انما هى تقديم الرب ، وتأخير العبد .. ولذلك فقد قال زعيم الطائفة الصوفية ابو القاسم الجنيد : « وقدم اماما كنت أنت امامه » يعنى قدم « الله » ليكون « امامك » وكن أنت مؤتما به .. وهذه العبودية الرفيعة يوصل اليها الفكر ، حين ينهج نهج «السنة» المشرفة ، فى بدايتها هذه البسيطة ، الموغلة فى البساطة .

ووضع الأشياء فى مواضعها قلنا انه هو الحكمة .. ونقول انه هو الشكر أيضا .. ولقد قرن ، سبحانه وتعالى ، بين الحكمة . والشكر ، فقال : « ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن أشكر لله .. ومن يشكر ، فانما يشكر لنفسه .. ومن كفر ،

فان الله غنى حميد » .. ثم انه قال ، عن ندرة ، وعزة ، الشـــكر : « اعملوا آل داؤد شـــكرا .. وقليل من عبادى الشـــكور » .. قوله : « وقليل من عبـــادى الشكور » .. يعنى أن من العباد من نزلوا بعض منازل العبودية ، وقصروا عـــن منازل « الشكر » .. ذلك لأن « الشكر » قمة العلم ، وقمة العمل .. فالشكر هو استعمال النعمة فيما خلقت له .. فكأنه علم بدقائق النعم ، ومقدرة على تنفيذ العمل فيها ، وفق رضـــوان الله .. ونعم الله لا تحصى .. بل ان نعمة واحـــدة من نعمه لا تحصى ، قال تعالى : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها .. ان الله لغفور رحيم » قال : « نعمة الله » ولم يقل : « نعم الله » ..

الصـــــلاة والصـــــوم :

الآية التى صدرنا بها هذا الكتاب تشير الى الصلاة ، والصـــوم : « فاذكرونى ، اذكركم .. واشكروا لى ، ولا تكفرون ❊ يأيها الذين آمنوا !! استعينوا بالصبر ، والصلاة .. ان الله مع الصابرين » .. قوله : « اذكرونى اذكركم » يعنى كونوا معى بحضور عقولكم أكن معكم بنصرى .. هذه مثل قوله ، تبارك وتعـــالى : « ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم » فالنصر انما هو على دواعى الجهل العارضة على الجبلة .. « فذكر الله » الحضور معه بجمعية عقل ، وقلب .. والذكر غرض تحققه الصلاة ، ولذلك فانه قد قال ، سبحانه وتعالى ، لموسى الكليم : « وأقم الصلاة لذكرى .. » وقال لمحمد الحبيب « أتل ما أوحى اليك من الكتاب ، وأقم الصلاة .. ان الصلاة تنهى عن الفحشـــــاء ، والمنكر .. ولـــذكر الله أكبر .. والله يعلم ما تصنعون » .. قوله : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء ، والمنكر » .. هـــذه هى « الصلاة الشرعية » .. وهى وسيلة لاستدامة الذكر ، لأنها ، حين تنهى عـــن الفحشاء ، والمنكر ، انما تنور القلب ، وتصفى الفكر ، وتهدىء جيشان الخـــواطر ، فتنقل بذلك الغفلة ، وتطول الحضرة ، وهى الذكر .. فذكر الله هو الحضور معه بلا غفلة .. وقوله : « ولذكر الله أكبر » اشارة الى صلاة « الصلة » .. فكأنه قـــد جاء ، فى هذه الآية ، بصلاة « المعراج » ، وهى الصلاة الشرعية . وبصلاة « الصلة » وهى الصلاة الحقيقية ، التى اليها يكون المعـــراج بالصلاة الشرعية .. فصـــلاة

« الصلة » تقوم من صلاة « المعراج » مقام « الروح » من « الجسد » .. فان لم يكن فى صلاة « المعراج » مقدار من صلاة « الصلة » ، يعنى من الحضور مع الله ، قل هـذا الحضـور أو كثر ، فانها لا تكون صـلاة .. وينطبق عليها الحديث : «رب مصل لم يقم الصلاة» .. قوله تعالى : «والله يعلم ما تصنعون» ، حوت كل العلم .. فالله صانع كل صانع وصنعته .. هناك حديث يقول : « الصوم ضياء ، والصلاة نور » .. والفرق بين « النور » و « الضياء » محكى فى قولـه تعالى : « هو الذى جعل الشمس « ضياء » ، والقمر « نورا » ، وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين ، والحساب .. ما خلق الله ذلك الا بالحق .. يفصـل الآيات لقوم يعلمون » .. فالضياء « النور » الأصيل .. والنور « النور » المعـار .. فالجرم « المضىء » نوره منه ، كالشمس ، والجرم « المنور » نوره مستمد مـن غيره ، كالقمر .. وعندهم أن الأرض ، والشمس ، والقمر ، مـن آيات الآفاق تمثل الثالوث المودع فى البنية البشرية ، من آيات النفوس .. والله ، تبارك وتعـالى ، يقول : « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحـق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟؟ » « فالشمس » ، من آيات الآفاق ، فى مقابلة « القلب » ، مـن آيات النفوس .. « والقمر » ، من آيات الآفاق ، فى مقابلة « العقل » من آيات النفوس .. « والأرض » ، من آيات الآفاق ، فى مقابلة « الجسد » ، من آيات النفوس .. ومعنى الحديث : ان الصيام ، انما هـو حـظ الروح فهو يشحذ الذكاء ، ويعطيه نفـاذا ، ومضيا .. ومعلوم أن « البطنة » تنيم « الفطنة » .. والصيام ، انما يشحذ الذكاء ، لأنه يؤثر على الدم ، فينقيه ، ويقلله ويحد بذلك من طيش ، واندفاعات الشهوة .. وقد جاء فى حديث المعصـوم : « ان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالصـوم » .. فاذا ما شحذ الصوم ذكاء « روح » العابد ، ثم ان هذا العابد أقبل على الصلاة ، فان عقله يكتسب نورا بتعرضه لضياء الروح ، فى أوضاع صلاته المختلفة ، كما يكتسب القمر النور من ضياء الشمس ، وهو ينزل منازله المختلفة . والقمر ينزل أربعة عشر منزلا ليصير ، فى نهايتها ، بدرا كاملا ـ سبعة لينتصف فيها بالنور ، وسبعة أخرى ليصير

فيها بدرا كاملا ـ يحكى ، فى الحجم ، جرم الشمس ، حتى لكأنه قد عكس ـ بنوره ، جميع ضيائها . وهذا فيما يرى الرائى .. والصلاة ، فى كل ركعة منها ، سبع حركات ، تمثل منازل القمر السبعة .. فأنت اذا كنت سالكا مجودا ، وصليت ركعتين ، وفكرك حاضر فى صلاتك ، فيجب أن تعلم أن كل حركة ، من حركاتك الأربع عشرة ، تختلف عن الحركة التى سبقتها ، وان كانت تشبهها ، وما ذاك الا لأنها بمثابة منزل جديد ينزله قمر «شريعتك» ، من شمس « حقيقتك » .. فاذا ما أنت أكملت الركعتين ، فكأنما قد اكتمل بدرك ، كأنما استضاءت صفحة عقلك ، بنور المعرفة المنبثقة من ضياء روحك ، فتوازى العقل والقلب ..

هذا الثالوث المتمثل فى آيات الآفاق ـ فى «الأرض» ، «والشمس» ، «والقمر» يقابله ، من آيات النفوس ، «الجسد» «والقلب» «والعقل» .. وقد كانت آيات الآفاق مرتتقة ، فانفتقت .. كانت « الأرض » ، « والقمر » ، فى « الشمس » .. قال تعالى ، فى ذلك : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ؟؟ » وكذلك آيات النفوس .. فهى قد كانت مرتتقة .. « العقل » ، و « الجسد » ، كانا فى « القلب » ، فانفتقا عنه .. وينطبق على ذلك باطن الآية ، حين ينطبق ظاهرها على آيات الآفاق .. فنحن نعلم أن النفس الأمارة نفس صماء ، غير منقسمة ، وهى لا تأمر الا بالشهوة الحاضرة .. فاذا ما أخذت فى المجاهدة ، بحسب التكليف ، انفتقت ، وظهر انقسامها .. وانما من هنا ـ من هذا الأنقسام ـ نزلت منزلة النفس اللوامة .. وقد برز « الجسد » ، و « العقل » ، من « القلب » ، كما برزت « الأرض » ، و « القمر » ، من « الشمس » .. فقد كانت الشمس هى الأصل ، فبرزت من الشمس الأرض ، وبرز من الارض القمر .. وفى البنية البشرية ، فان « القلب » هو الأصل ، ثم برز من القلب « الجسد » ، ثم برز من الجسد « العقل » .. هذه الثلاث ، فى الباطن ، تقابل تلك الثلاث ، فى الظاهر .. وقد تحدثنا عن أصل هذه النشأة بتفصيل مناسب فى مقدمة كتابنا : « رسالة الصلاة » ، الطبعة الرابعة ، مما يغنى عن الأعادة هنا .. ولكن ، الذى يهمنا هنا ، هو أن مهمة التوحيد هى أن يوحد هذا الثالوث .. وقد سبق أن قررنا

ان التوحيد انما هو صفة الموحد ، (بكسر الحاء) ، وليس هو بصفة الموحد ..
وقلنا أن حاجتنا الى التوحيد هى حاجتنا الى وحدة قوى البنية البشرية ..
والدين يطالب بوحدة هذه القوى ، فى أول ما يطالب .. قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟؟ * كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون »
فلكأنه يطالب بوحدة الفكر ، والقول ، والعمل .. وهذه هى صفة الحر الذى انتصر على الخوف .. وقلنا آنفا ان التوحيد ، والصلاة ، هما وسيلتنا الى استيقان العلم ، الذى به نتحرر من الخوف .. وفى الآية عبر عن « الصوم » « بالصبر » ، فقال : « استعينوا بالصبر والصلاة » لأن الصوم رياضة تطالب بالصبر عن دواعى الجبلة ، وغرضها ، فى ذلك ، تقوية الفكر .. والصبر فضيلة ، فى السالك يحتاجها فى جميع مقامات العبادة .. وليست فى صفات العباد صفة تعادلها .. ولذلك فانه قد قال : «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» .. كل عامل فى الطاعات أجره بحساب ، الا الصابر ، فان أجره « الله » نفسه .. ومن اشارات الصوفية قولهم ، فى هذا المقام ، فى جزاء الصابرين : « قالوا : جزاؤه ؟؟ من وجد فى رحله فهو جزاؤه » ..
يعنون أن من وجد فى قلبه الصبر فان الله هو جزاؤه .. « هو » فى الآية انما يشيرون بها الى « الله » .. وهذا مأخوذ من قوله تعالى : «ان الله مع الصابرين»
وانما تكون « المعية » ، فى مراتب التنزل ، حسب درجات الصبر .. فالصبر «لله» عبادة ، والصبر « فى الله » جهاد ، والصبر « بالله » مجاهدة ، والصبر «مع الله» معرفة ، والصبر « عن الله » محبة .. فالصابر عن الله ، وهو المحب ، تكون «معية» اللهمعه بالذات .. والصابر فى درجات الصبر المختلفة ، التى ذكرناها ، انما تكون « المعية » معه بالأسماء ، أو بالصفات ، أو بالافعال — كل حسب مقامه ..
« وما منا الا له مقام معلوم » ..

وليس الصوم هو الامساك عن شهوتى البطن والفرج ، وانما الصوم التزام بمحاربة العادات ، وانتصار للفكر ، بدوام الحضور ، حتى ليصبح الصائم حاضرا مع الله ، ومتخليا عن كل ما سوى الله .. وبارتقاء درجات الصائم ترتقى درجات المصلى .. حتى أن السالك ، فى هذا المستوى ، بالصوم ، وبالصلاة ، ليبلغ مقام

من قال ، سبحانه وتعالى ، عنه : « الذين آمنوا ، ولم يلبسوا أيمانهم بظلم .. أولئك لهم الأمن .. وهم مهتدون » .. والظلم هنا انما يعنى الشرك الخفى ، الذى عنه قال المعصوم : انه ليدق حتى يصبح : « أخفى من دبيب النملة السوداء ، فى الصخرة الصماء ، فى الليلة الظلماء » .. أن الصلاة وسيلة الى هذه المقامات ، يعينها فى حسن التوسل اليها ، صنوها الصوم ، وهذا هو معنى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا !! استعينوا بالصبر ، والصلاة .. أن الله مع الصابرين » .. قوله : «استعينوا» ، يعنى استعينوا على دواعى « الجبلة » الى « الغفلة » حتى تخرجوا من ظلام الغفلة الى نور العلم ..

الصلاة جلسة نفسية :

ما أحوج وقتنا الحاضر الى الصلاة !! وقتنا الحاضر ، وقت الذكاء الحاد ، والحس المرهف !! ومع ذلك ، وقت القلق ، والتوتر ، والحيرة .. حيرة الشباب ، المتمثلة فى مجاميع «الهيبيز» .. وحيرة الشيوخ ، الذين عجزوا عن هداية ، وقيادة ، أطفال ، وشباب الأجيال المعاصرة من أبنائهم .. وقتنا الحاضر ، وقت المشاكل النفسية ، والأمراض العصبية .. هذه الأمراض التى ، من فرط ما تفشت ، وذاعت بين الناس ، وجدت من يسميها : « بأمراض المدنية » .. وليست المدنية أمراض ، وانما المدنية صحة للقلوب ، وللعقول ، وللاجساد .. ولكن وقتنا الحاضر هو وقت الحضارة الغربية التى جعلت وكدها الأنتاج ، والأستهلاك .. وهى ، فى سبيل مواصلة الأنتاج ، تدعو الى المزيد من الاستهلاك ، وتدعو بوسائل الأعلان المختلفة لطرائق الاستهلاك المختلفة ، حتى لقد ازدادت حاجات الأنسان ، لحد جعله فى خوف دائم من العجز عن تحصيل هذه المطالب ، التى أوهمته الحضارة المادية ، الآلية ، الحاضرة ، أنها حاجة حياة ، أو موت ، بالنسبة اليه ، والى أسرته ..

اننى لا أشكو من الوضع الحاضر ، ولا أرفض الحضارة الغربية ، «التكنولوجية» المادية .. بل ، على العكس ، فانى لأرحب بها ، وأعتبرها مرحلة هامة جدا من مراحل تطور الفرد ، والمجتمع البشرى .. واعتبر أن القلق ، والحيرة ، والرفض الذى ساقتنا اليه ، انما هو علامة صحة ، وليس علامة مرض ..

هو علامة صحة لانه يرشدنا الى أصل المرض ، وما ذاك الا جهلنا بحقيقة البيئة التى نعيش فيها ، وعجزنا ، من ثم ، عـن المواءمة بين حياتنا وبينها ..

لقد ظللنا ، نحن البشر ، دائما نحاول التعرف على بيئتنا ، ونحاول ، على هدى من هذه المعرفة ، أن نوجد نوعا من التوافق ، والتناسق بين حياتنا وبين هذه البيئة .. وقد بدأنا من مكان بعيد .. لقد مضى وقت كنا نعتقد فيه أن البيئة الطبيعية ، المادية، التى نعيش فيها هى عدو لنا ، شديدة العداوة .. وقد ملأتنا عداوتها ، وشكاستها ، وأنيابها الزرق ، ومخالبها الحمر ، بالخوف الشديد ، الذى تحدثنا عنه ، فى مقـدمة كتابنا هـذا ، وفى العديد من كتبنا ، باسـتفاضة .. وكنـا ، دائما ، ولا نزال ، نخدع بالمظهر ، ونذهل عن المخبر .. ونحن ، اليوم ، وفى مجتمع حضارة «القـرن العشرين» ، نقف فى مفترق الطرق .. فان هذه البيئة الجديدة ، التى قد طورها تقدم الآلة ، تطويرا يشبه القفزة ، تواجهنا بتحد حاسم .. هذا التحـدى يعرض علينا احدى خصلتين : اما أن نرتفع الى مستوى المواءمة بين حياتنا ، وبين بيئتنا ، واما أن ننحدر الى الهاوية ، فيكون مصيرنا مصير الأحياء التى عجزت عن المقدرة على المواءمة بين حياتها وبين البيئة .. اننا ، بفضل الله ، ثم بفضل هذا التقدم «التكنولوجى» ، قد أصبحنا نعيش فى كوكب موحد جغرافيا ، واصـبحنا ، بفضل هـذا التقدم « التكنولوجى » ، جيرانا متقاربين ، مهما بعدت أقطارنا ، فى أطراف هـذا الكوكب الصغير .. وأصبح علينا أن نتحلى بالأخلاق التى تليق بحسن الجوار .. أصبح علينا أن نتوحد أخلاقيا ، كما توحدنا ماديا .. وبفضل الله ، ثم بفضل العلم المادى ، الذى هو سمة هذه الحضارة ، وضحت لنا الوحدة التى تنتظم المظاهر المختلفة .. وضـح لنا أن المادة التى مظهرها التعدد جوهرها الوحدة .. بل أن العلم التجريبى قد أظهر لنا أن المادة ، كما تظهر ، ليست هناك ، وانما هى طاقة .. طاقة تدفع ، وتجذب .. هـذه الطاقة يسـميها الدين « الارادة » .. ارادة الله ، خالق الأكوان ، وخالق الأنسان ، وجاعل الأكوان مطية الانسان ، بها يرتقى ليبلغ منازل كماله .. أن حاجتنا الى « الدين » اليوم قد برزت ، بفضل الله ، ثم بفضل هـذه المشاكل التى تواجهنا بها هـذه الحضارة الغربية المادية .. نريد الآن أن نقف لنراجع ما رسـبته فينا

الجهالات الماضية ، من عقد نفسية أخذت تنطلق ، فى وقتنا الحاضر ، بغير قيد ، وبغير عقال .. وهنا تبدو حاجتنا الى الصلاة .. ان الصلاة جلسة نفسية بهذا المعنى .. هى منهاج يعطينا الفرصة الى أن ننفصل عن « الدوامة » الحاضرة ، وأن نكون فى « خلوة » نجد فيها السبيل الى التظر فى « داخلنا » فاننا نعرف عن عالمنا « الخارجى » أضعاف ، أضعاف ما نعرف عن عالمنا « الداخلى » — عن نفوسنا — فان البيئة التى نعيش فيها هى بيئة روحية ، ذات مظهر مادى .. هذه حقيقة ظهرت لنا ، لأول مرة ، عن طريق العلم التجريبى ، وأيضا عن طريق الدين .. أننا نحن نعيش محاطين بالمظاهر الألهية .. ولكى نعيش فى « سلام » فقد وجب علينا أن نعرف « الله » ، وأن نعرف أسرار صنعه فينا ، هذا الصنع الذى هو بيئتنا التى نعيش فيها الآن .. وقد ظللنا دائما نعيش فيها ، ولكننا نجهلها ، تمام الجهل .. فاذا حققنا ، وصححنا علمنا بها فسيعيننا هذا العلم الجديد على أن نرجع لمناقشة هذه العقد النفسية ، الموروثة ، والمكتسبة ، التى رسبها فينا الجهل .. بناقشها ، ونصححها ، ونسلط عليها النور لتخرج من ظلامها ، وسجنها ، الى نور الحياة ، وحركة الحرية .. ويومئذ تنبعث الحياة الحرة ، الكاملة ، فى بنيتنا ، على النحو الذى بينا فى هذه المقدمة ..

وسر صنع الله فى كونه هو الحكمة .. قال تعالى فيها : « وما خلقنا السموات ، والأرض ، وما بينهما ، لاعبين * ما خلقناهما الا بالحق .. ولكن أكثرهم لا يعلمون » .. قوله « ما خلقناهما الا بالحق » ، يعنى الا بالحكمة .. والحكمة هى وضع الأشياء فى مواضعها .. الحكمة هى «نهاية العلم» و « نهاية الرحمة » .. وقد تكون الرحمة فى صورة عذاب ، ولكن الحكمة وراء العذاب ، كالحكمة وراء الدواء المر .. المراد منه الشفاء من العلة .. ولكننا نحن كالأطفال .. فالطفل العليل يرفض الدواء لمجرد أنه مر .. ويجهل أن وراء مرارته حلاوة العافية .. ونحن انما نرفض العذاب بنحو من هذا الجهل .. ولذلك فقد قال تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم .. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .. وعسى أن تحبوا شيئا وهو

شر لكم .. والله يعلم .. وأنتم لا تعلمون » .. هـــذا هو موطن الآفة : « والله يعلم .. وأنتم لا تعلمون » .. ولذلك فقد وجب الأيمان بما لا نعلم ، ريثما نعلم .. والأيمان أصل فى العلم ، وأصل فى الدين .. بل الحقيقة أن العقل الذى يعرف قدر نفسه لا يمكـــن أن يرفض شـــيئا ، لمجرد أنه لا يجـــد العلم به ، عتيدا عنده .. بل أن الواجب يقضى ، اذا جهلنا شـــيئا ، أن نؤمن به ، ريثما ينكشف لنـــا حقه ، مـــن باطله .. وأما رفضنا اياه قبل ذلك ، انما يمثل جهلا بحقيقة انفسنا ، وينطوى على ادعاء كبير ، اذ نجعل عقولنا حكما على الأشياء .. وهذا ما يحصل من أحـــدنا دائما . ولذلك فقد أصبحنا محتاجين الى منهاج يروض العقول على التواضع ، وعلى المحايدة ، وعلى البراءة من الغرض .. ان مثل هـــذا العقل المؤدب هو وحده الذى يدرك القانون ـــ قانون الحق ـــ الذى به خلق الله السموات والأرض : «ما خلقناهما الا بالحق» .. يعنى « بالحق » « القانون » .. وقديما قال أرســـطو : « ان القانون هو العقل الذى لا يتأثر بالرغبة » .. هذا هو القانون الكلى .. وهو انمـــا يحكى صورة العقل الكلى .. ونحن انما نحاول أن نسير بعقولنا خلف العقل الكلى .. أليست التوصية : « تخلقوا بأخلاق الله » ؟؟ وبقدر ما تحاكى عقولنا العقل الكلى ، بقدر ما ندرك من دقائق هذا القانون ، الذى ما هو الا أثره ، وصنعه .. وبقـــدر ما ندرك من دقائق هذا القانون ، بقدر ما نسير حياتنا فى مواءمة معه .. فنبلغ بذلـــك الأمن ، ونستمتع بالحرية من الخوف ، ونطلع على دقائق الغيب .. ونصحح عقـــد المـــاضى فننعم بهذا التصحيح التشويش الداخلى ..

فالصلاة جلسة نفسية بمعنى أنها فرصة للنظر الداخلى ، ولمناقشة العقد النفسية المكبوتة فى طبقات العقل الباطن .. وفى التعريف العرفانى ، السلوكى ، العلمى ، فان للعقل سبع طبقات ، تعرف بالنفوس السبع .. وقد ورد ذكرها جميعها فى القرآن : أولها النفس الأمارة ، ثم النفس اللوامة ، ثم النفس الملهمة ، ثم النفس المطمئنة ، ثم النفس الراضية ، ثم النفس المرضية ، ثم النفس الكاملة .. وهذه النفوس السبع انما هى درجات فى مراتب الأدراك التى بهـــا يطلع العقل علـــى الحقـــائق ، ويعرج فى

سمواتها ، وذلك بفضل الله ثم بفضل العبادة المجودة ، وأعلاها الصلاة .. وانما عن الصلاة قال ، جل من قائل : « فاصبر على ما يقولون !! وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى » فى هذه الآية عنى بـ « سبح » « صل » .. وقد أورد فيها الأوقات الخمسة فى اليوم والليلة .. ثم قال : « لعلك ترضى » .. والرضا المقصود هنا انما هو بربوبية الرب ، وهو التسليم له ، وزيادة .. هذا الرضا هو تعبير آخر عن التواءم مع البيئة ، والملاءمة والأتساق ، وهذا ما به نحصل على الطمأنينة ، وبرد الراحة ، والتخلص من الخوف .. فالصلاة جلسة نفسية بهذا المعنى ..

بين الاعتراف والاستغفار :

ومما يزيد فى توضيح قولنا أن « الصلاة جلسة نفسية » جلسة الاستغفار ، التى تتفق ، للعباد المجودين ، بالأسحار .. وقبل « الاستغفار » عند المسلمين ، هناك « الاعتراف » عند المسيحيين .. ومبدأ « الاعتراف » هذا بدأ فى المسيحية بعد حياة المسيح ، فى حوالى القرن الثامن الميلادى .. وهو يستمد من قول المسيح لتلاميذه : « الحق أقول لكم : ما ربطتم فى الأرض ، ربط فى السماء .. وما حللتم فى الأرض ، حل فى السماء » .. ثم أن المسيح قد قال لهم أيضا : « خذوا الروح القدس : من غفرتم له خطاياه تغفر له .. ومن أمسكتم عليه الغفران يمسك عليه » ..

والمسيحيون يعتبرون أن الاعتراف أمام كاهن مهم جدا .. ومن الفروض الدينية على كل مسيحى أن يعترف ، على الأقل ، مرة فى السنة .. وهم يقسمون الخطايا الى **نوعين : الخطيئة** « الميتة » ، وهذه لا تغفر الا بالاعتراف . **والخطيئة «المرضية»** وهذه يمكن مغفرتها بدون اعتراف ..

والحكمة وراء الاعتراف هى تفريغ البال من الهموم التى تغم القلب ، حتى تحصل الراحة بنقاء الضمير .. وانهم ليتوسلون الى ذلك بعدة صلوات .. مثلا هم فى « الاعتراف » يقولون : (ان مخلصنا بجنان سام : « وضع لنا سر التوبة للخلاص » .. فهو قوة لضعفنا ، ودواء لأمراضنا النفسية الكثيرة ، بل هو نور

يجعلنا نعرف تجارب العالم ، وغش الشيطان ، وشـــهوات النفس ، ولذا يلزمنا أن نتقدم اليه كثيرا ، بايمان حى ، واستعداد كامل .. اننا بالتقرب المتواتر الى هـــذا السر نتقدم فى الكمال المسيحى ، ونحفظ طهارة نفوســنا .. وبمقدار ما نبتعد عنه ، ونؤخره ، نتأخر فى الفضيلة ، ونضيع هدوء الروح) ..

وهم ، قبل الاعتراف ، يتوجهون بصلاة قصيرة ، كأن يقول أحدهم : « أيها الروح القدس !! نور عقلى لأعرف الخطايا التى ارتكبتها بعد اعترافى الأخير ، فأندم عليها ، ندامة صادقة ، واعترف بها ، اعترافا تاما ، للكاهن فى كرسى الاعتراف » .. وبعـــد هذه الصلاة القصيرة يأخذ المعترف فى فحص ضميره ، محاولا ، بذاكرته ، استحضار ما قد اقترفه من ذنوب ، وخطايا .. كأهماله فى الصلاة ، صباحا ، أو مساء .. وهل هو أخفى خطيئة مميتة فى اعترافه السابق ؟؟ وأيضا : هل قام بواجبات الوالدين ؟؟؟ واذا كان زوجا ، أو زوجة ، فهل قام بواجباته نحو الأسرة ، والأبناء ؟؟ وأيضا هـــل قصر فى حب أحد ؟؟ وهل وشى بأحـــد ، أو شـــتمه ؟؟ وهل سرق ؟؟ لعب ميسرا ؟؟ شرب خمرا ؟؟ . الخ الذنوب ، والخطايا .. ثم هو ، بعد أن يستحضر طائفة كبـــيرة من هذه الخطايا يتوجه بصلاة قصيرة أخرى ، كأن يقول : « يا الهى انى نادم علـــى جميع خطاياى التى بها أهنتك ، أنت ، المستحق كل محبة ، وأقصد ، قصـــدا ثابتا ، الا أعـــود الى ارتكابها .. فســـاعدنى على الثبات ، ولا تســـمح أن ابتعد عنك بالخطيئة » .. وطريقة الاعتراف : أن يتقدم التائب من كرسى الاعتراف ، ويركع ، ويقول : « باركنى يا أبت لأنى خاطىء ، أو خاطئة .. » .. وسيكون فى وضـــع مريح ، يوحى بالطمأنينة ، والسرية ، ويغرى بالانفتاح ، والصراحة .. وقد يفصـــل بين الكاهن والتائب شباك صغير .. ويكون النور الذى يريان به بعضهما نورا خافتا ، ومطمئنا . ويأخذ التائب فى سرد ظروفه التى ورطته فى الخطيئة .. ويعدد خطاياه .. ويكون مستعدا للصراحة ، والوضوح ، والصدق .. ويجيب على أسئلة الكاهن ، حين يسأله ، فى وضوح وفى صدق ... ويظهـــر الندم علـــى كل ما ارتكب .. ويطلب المغفرة .. وسيجيبه الكاهن :« مغفورة لك خطاياك » .. وسيعطيه كفارة .. وهى

عادة بعض اعمال الخير ، أو بعض الصلوات ، أو بعض القراءات من الكتاب المقدس .. والكاهن ، فى الاعتراف ، عند المسيحيين ، يعتبر نائبا عن المسيح .. فهو يقول ، مثلا ، للمعترف : « ليحلك ربنا ، يسوع المسيح ، وأنا أيضا أحلك بسلطاته » ، أو يقول ، فى أثناء وعده التائب الغفران : «ضمن السلطة المخولة لى » .. والكاهن ملزم بأن يحتفظ بأسرار المعترفين ، وذلك ، بالطبع ، مما يطمئن المعترف ، ويشجعه على فتح مكنونات صدره ، وتنقية ضميره ، وراحة باله .. هذا هو « الاعتراف » فى « المسيحية » ، ويعادله عندنا نحن فى « الأسلام » الاستغفار .. « فالاستغفار » تطوير ، وترق ، على مبدأ « الاعتراف » .. وهو ، عندنا ، من عظم الشأن ، وجلال القدر ، بحيث يكون صنوا ، وعدلا ، للنبى الكريم .. وقد كان الأصحاب يقولون ، بعد أن التحق النبى بالرفيق الأعلى ، كانوا يقولون : « كان لنا أمانان من العذاب ، فذهب أحدهما ، وبقى الآخر .. » يشيرون بذلك الى قول الله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم ، وأنت فيهم .. وما كان الله معذبهم ، وهو يستغفرون » .. وفى « الأسلام » « الاعتراف » ممنوع ، لا !! ولا حتى للنبى .. وفى حديث للمعصوم قال ، وهو ينهى عن « الاعتراف » : اذا اقترف أحدكم ذنبا ، فستره الله عليه ، فلا يكشف ستر الله عنه .. » .. وهذه كرامة لضمير الانسان ، ولحرمته ، ولحريته ، لا تدانيها كرامة .. ويقوم « الاستغفار » ، فى حط الهموم ، والغموم ، والأوزار ، عن الصدر بقدر يقصر عنه « الاعتراف » بآماد بعيدة .. ذلك بأن الأنسان الذكى لا يمكن ان تطمئن نفسه ، كل الاطمئنان ، لبشر مثله ، فيودعه أسراره .. ولكنه ، حين « يعترف » لربه — حين يستغفر ربه — لا يمكن الا أن يكون صادقا ، كل الصدق ، لأنه مطمئن على سره ، اذ يجرى « الاعتراف » بينه وبين ربه — بينه وبين نفسه .. ولأنه يعلم أنه لا يستطيع أن يكتم الله حديثا .. وهو ، سبحانه وتعالى : « يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور » .. وفى الحق ، فان المراد من « الاعتراف » انما هو توكيد الخطيئة للنفس حتى تنساق الى الندم ، وحتى تستغفر بجمعيتها ، وبكليتها —

تستغفر بلسان حالها ، وبلسان مقالها ــ فتتم بذلك « للاستغفار » أركانه : الأقلاع الفورى عن الذنب ، والندم على ما فات منه ، والعزم على عدم العودة فيه .. وانما يريح « الاستغفار » النفوس لمكان الصدق منه .. فانه هو أصدق الحديث .. والصدق دائما يريح ، ويحرر النفوس .. وليس « الاستغفار » مجرد أقوال تجرى على اللسان ، وأعداد من المرار تحصى على المسبحة ، وانما « الاستغفار » استعراضك لشريط أعمال اليوم السابق ، تستعرضها ، وتقيمها ، وتحدد مبلغ الخطأ فيها ، بصورة تفعم النفس بالندم عليها ، حتى تندفع ، فى جمعية ، وامتثال ، وانكسار ، تطلب المغفرة من الله الغفار .. « الاستغفار » ، بهذه الصورة ، يجرى فى السحر ، بعد صلاة الثلث ، وفى هدوء الليل ، وفى جلسة خشوع ، وسكينة ، ووقار ، تجلس فيها جلسة الصلاة ، غير متربع ، ولا ماد رجلك ، وانما تجلس وأنت تستشعر حضرتك بين يدى الله ــ « الاستغفار » بهذه الهيئة ، يحط عن النفس ثقل ظلامها بصورة حسية ، يشعر بها العابد المجود شعورا حسيا ــ وتكفى منه المرات القلائل لتحقيق الغرض المرجو منه .. ولكن الاستغفار الذى تجريه العادة على اللسان ، وتعدد مراته على المسبحة ، كما هو مألوف عادة الناس الآن ، ليس فيه غناء ، ولو عدد آلاف المرات .. أن « الاستغفار » فكر ، يسترجع ، ويحاسب ، على أخطاء الماضى ، بصورة تملك القدرة على سوق النفس الى عتبة « الاعتراف » ، وهى منكسرة ، خاضعة ، تستشعر جرم خطيئتها .. أما غير ذلك فهو استغفار يحتاج « لاستغفار » ، كما قالت رابعة العدوية .. وقيمة هذه الجلسة التى يجرى فيها « الاعتراف » ، عن طريق « الاستغفار » ، هى أنها تعين على « تنغيم » تشويش « الخواطر » الداخلى ، وعلى مناقشة « الثرثرة » التى تجرى فى الصدر ، كمحاولة لتنويرها ، ولاقناعها ، ولتفريج الكبت عنها ، فتتخلص ، بهذا الصنيع ، من التوتر ، ومن القلق الذى يظهر على الناس الآن فى صورة المرض العصبى .. يعينك على هذا التخلص ، عندما تستغفر الله تعالى بجمعية ، ايمان أكيد بأن الله لا يتعاظمه ذنب ، فهو ، تبارك وتعالى ، يقول : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من

رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا .. انه هو الغفور الرحيم .. » .. هـــذه أشمل آية فى رجاء المغفرة .. وهى تستمد من الأطلاق الذى لا يجـرى عليه قيد ، وهى ، من ثم ، مسيطرة على آية أخـــرى ، باب المغفرة فيها أيضا واســع ، وتلك هى قوله ، تبارك وتعالى : «ان الله لا يغفر أن يشـــرك به ، ويغفر ما دون ذلـك لمن يشاء .. ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » جلسة « الاستغفار » ، مع هذا الأيمان ، لا تغادر صغيرة ، ولا كبيرة من الذنوب ، الا وقد وضعته .. وينهض المستغفر المجود ، كأنما نشط من عقال .. هذا هو ما عنيناه بقولنا « ان الصـــلاة جلسة نفسية » ..

البـــــاب الثـــانى

هذا هو الباب الثانى من كتاب : « تعلموا كيف تصلون » ، وقد حاولنا ، فى الباب الأول ، أن نبين وظيفة الصلاة .. ونحن نحاول ، فى هذا الباب ، أن نبين كيفيتها ، لكى تؤدى وظيفتها .. ولابد ، فى مستهل هذا الباب ، مـن تكرار عبارة شـــديدة الأهمية ، وهى أن الصلاة أهم عمل العبد .. فاذا كانت أهم العبادات « اللفظية » هى : « لا اله الا الله » ، فان أهـم العبادات « العملية » هى الصـــلاة .. و « لا اله الاالله » و « الصلاة » متلازمتان لا ينفكان عن بعضهما .. ومن ههنا جاء القرن بينهما فى القرآن : « اليه يصعد الكلم الطيب .. والعمل الصالح يرفعه » .. ولنفاسة الصلاة ، فانها لم تتم ، وهى لن تتم لاحد .. وما زهد الزاهدون فى الدنيـا الا ليستقيم لهم فراغ البال الذى به تتم الصلاة .. وقد جعل الله الصلاة وسـيلة خيرى الدنيا ، والآخرة .. قال تعالى « وأمر أهلك بالصـــلاة ، واصطبر عليها .. لانسألك رزقا .. نحن نرزقك .. والعـاقبة للتقوى .. » و « التقوى » هنـــا « الصلاة » .. ومن أجل هذه المكانة السامية التى تحتلها الصلاة فى اجتلاب خيرى الدنيا ، والآخرة ، كان النبى يفزع اليها ، كلما حز به أمر .. وكان يقول : « حبب الى من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب .. وجعلت قرة عينى فى الصلاة .. » .. « وقرة عينه » تعنى رضا نفسه ، وراحة باله ، واطمئنان قلبه .. ولعزة الصـــلاة ، ولصعوبة تمامها ، وظف العارفون كل حياتهم فى سبيلها .. وكما قلنا ، فانهم انما من أجلها زهدوا فى طيبات الدنيا .. ذلك بأن الزهد ليس بغاية فى ذاته ، وانما هو وسيلة لفراغ البال ، من الجولان فى كثرة تدبير حاجات الحياة ، مما يوزع قلب المصلى عـن صلاته ، ثم انهم قد علموا أن الحضور فى الصلاة انما يكون قبل الدخول فيها .. وانما من أجل هذه الحقيقة شرعت الطهارة الحسية بالماء ، أو بالصعيد قبلها ، وجعلت طرفا فيها ..

صـــل فـــانك الان لا تصـــلى :

فاذا علمت من « الباب الأول » من هذا « الكتاب » ما عظم أمر الصـــلاة فى صدرك فأقبل على صلاتك بروح جديدة .. واعلم انك لم تكن تصلى ، فيما مضى .. هـــذا حديث يساق لكل مسلم ، فى يومنا الحاضر ، مهما كان حظه من المجاهـدة ،

والتدين ـــ : « صل فانك لم تكن تصلى ـــ وأول ما تبدأ به عهدك الجديد : « التوبة النصوح » .. وللتوبة النصوح ثلاثة اركان : الاقلاع الفورى عن الذنب ، والندم على ما مضى من التقصير ، والأصرار على عدم العودة الى تقصير الماضى ، مهما يكن الأمر .. ولتوكيد تخليفك الماضى وراء ظهرك ، اغتسل غسل الجنابة ، كأنك قد دخلت الأسلام لتوك .. وللغسل آداب : أهمها ذكر « اسم الله » ، والحضـــور معه ، والاستتار .. فاننا ، حين نستر عوراتنا عن الناس بالملابس ، انما نسترها عـــن الجن بذكر « اسم الله » . ولتكون حاضرا ، وقد تعريت عـن ملابسك ، فى مكـان مستور ، يستحسن أن تردد كلمات ، علمها السرى الســقطى لابن أخته ، وتلميذه ، أبى القاسم الجنيد ، وهو لم يزل ، يومئذ ، يافعا .. فانه قد قال له : « حين تبدل ملابسك ، أوحين تخلعها للحمام قل : الله معى .. الله ناظر الى .. الله شاهد .. » ولقد ذكر أبو القاسم الجنيد ، فيما بعد ، وهو زعيم الطائفة الصوفية : انه ما انتفع بشىء ما انتفع بهذه الكلمات .. فرددها أنت ، حين تخلع ملابسك للغسل .. ثم ابدأ بغسل يديك ـــ أعنى كفيك ـــ من غير أن تدخلهما فى الأناء ، وذلك باصغاء الأناء حتى ينصب فيهما الماء .. أغسلهما ثلاثا ، ثم ادخل يمينك فى الأناء ، وصب الماء علـــى فرجك ، واغسله بشمالك جيدا .. ثم توضا وضوءك للصلاة ، غير أنك لا تصـل الى رجليك .. خذ الماء وأدخل أصابعك فى أصول الشعر ، فى رأسك ، وفى لحيتك .. حتى اذا رأيت أن الجلد ، تحت الشعر ، قد ابتل ، أفض على رأسك ثلاث حفنات مـــن الماء .. ثم أفض الماء على سائر جسدك ، مع الدلك السريع ، مبتدئا بالميامن .. ثـم اغسل رجليك ، مع تخليل الأصابع ، كما تفعل فى الوضوء .. ومن آداب الغسل عدم الأسراف فى الماء .. ومن آدابه ، التى يجب أن تراعى دائما ، انك لا تشرع فيه الا بعد أن تكون قد ذهبت الى بيت الخلاء لتستبرىء من الفضلات .. فاذا ما اغتسلت هذه الغسلة ، بنية تصحيح التوبة ، حتى لكأنك قد دخلت الأسلام من جديد ، فأقبل على الله بثقة من يعلم أن الأسلام يجب ما قبله .. ثم لا تعد الى التقصير أبدا ..

الـوضـــــوء :

وانما من أجل الحضور فى الصلاة فرض الوضوء مقدمة لها ، وهو طرف منها ، تجب له من الحرمة ما يجب للصـــلاة .. وللوضوء آداب ، أولها الذهاب لبيت الخـلاء للاستبراء من الفضـــلات ، ثم السواك ، حيث أمكـــن ، فان لم يتيسر بالمسواك

فبالأصبع ، على نية النيابة عن السواك ، وذكر اسم الله ، والحضور فى الوضوء ، فى كل حركاته ، وذلك بتنقل النية ، وبتجديدها ، عند جميع الاعضاء .. فلا تنو الوضوء ، عند غسل الوجه ، مثلا ، ثم تذهب فى غفلة ، أو فى جولان بال ، أو فى ثرثرة مع من يجالسك من الناس .. فان الوضوء السليم طرف من الصلاة ، كما قلنا ، فلا تصح الثرثرة أثناءه .. وفى الحق ، أن حكمة مشروعيته تقوم على تطهير الظاهر ، والباطن .. فأنت ، حين تطهر الأعضاء من النجاسة « الحسية » ، بالماء «الحسى» ، يجب أن تطهر الباطن — « القلب » — من النجاسة « المعنوية » بالماء « المعنوى » — « العلم » .. فانه عندهم أن « الماء » « للظاهر » يقابله « العلم » « للباطن » .. وفى قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء ، فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه فى النار ، ابتغاء حلية ، أو متاع ، زبد مثله .. كذلك يضرب الله الحق والباطل .. فأما الزبد فيذهب جفاء .. وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .. كذلك يضرب الله الأمثال » قال ابن عباس : الماء القرآن ، الأودية القلوب .

عندما تأخذ ابريقك لتذهب « للادبخانة » ، ابدأ بتقديم رجلك اليسرى ، وأنت داخل ، واستحضر اسم الله فى قلبك ، من غير أن تلفظه بلسانك ، ثم اجلس ، غير مستقبل القبلة ، ولا مستدبرها .. ومن الخير أن تكون القبلة عن يمينك .. ثم ، وأنت تستبرىء ، فكر جيدا فى هذه الفضلات التى تفرزها ، هل كانت من أكل حلال ، وشرب حلال ؟؟ فان تذكرت حراما فى كسبك فاندم عليه ، واستغفر ، وحاول أن تصحح من كسبك .. فاذا كان كسبك حلالا ، فهل أسرفت فى تناوله ؟؟ أم هل اعتدلت ؟؟ ثم اذا أنت فرغت ، واستبرأت ، وتطهرت ، ففكر فى عظيم النعمة عليك فى هذا التخلص من الأذى ، وكن شاكرا لله .. ثم ، عند الخروج ، قدم رجلك اليمنى .. ثم أنت ، اذا أخذت مجلسك للوضوء ، فيجب أن تستقبل القبلة ، كما تفعل فى الصلاة ، وأن تكون مستور العورة كذلك .. فاذا كان الأناء الذى تتوضأ منه اناء مقفولا فضعه عن شمالك .. واذا كان اناء مفتوحا فضعه عن شمالك ، أولا .. ولا تدخل يدك فيه ، ولكن أصفه حتى تصب الماء على يدك اليمنى .. فاغسل كفيك ثلاثا ، تخلل خطوط راحتيك ، وفواصل الأنامل ، وما بين الأصابع ، وظاهر الاظافر ، وتحتها .. وفى

الغسلة الثانية للكفين ، ومن أجل ضمان تخليل ما تحت الأظافر ، ضم أصابع يدك اليمنى ، واضرب برؤوسها المجتمعة على الماء المتجمع فى راحة كفك اليسرى ، مرة ، أو مرتين ، لكيما يتخلل الماء تحت الأظافر .. وأفعل بأصابع يدك اليسرى على راحة يدك اليمنى مثل ذلك .. ثم أغسل الكفين الغسلة الثالثة .. ثم حول الأناء المفتوح الى جهة اليمين ، لتدخل فيه يدك ، وتواصل وضوءك .. وأعلم أن الأبواب التى يدخل منها الظلام ، أو النور ، على القلب انما هى الحواس ، والجوارح .. فان نحن حاسبنا أنفسنا على ما نجترح بحواسنا ، وجوارحنا ، دخل على القلب النور .. وان نحن استرسلنا بغير حساب ، ولا رقابة ، دخل على القلب الظلام .. وعملنا ، فى هذا الباب ، يقع بين « المراقبة » ، و « المحاسبة » .. والمراقبة تعنى حضور الفكر ، ساعة العمل ، حتى ندفع الخطأ قبل وقوعه .. والمحاسبة تعنى تذكر الخطأ بعد وقوعه ، وجبره بالاستغفار ، والتوبة .. وهم يقولون : « بالمحاسبة » يتم جبر ما أفلت عن « المراقبة » .. وبذلك فان جلسة الوضوء انما هى جلسة « محاسبة » لاستدراك ما فات على المراقبة .. وقد بينا كيف أن المحاسبة تبدأ بالاستبراء من الفضلات فى « بيت الخلاء » .. فاذا أنت جلست ، وغسلت يديك ، بالكيفية ، التى وصفنا ، فاسترجع ، فى فكرك : ماذا فعلت ، بهذين الكفين ، بين الصلاتين — بين صلاتك الماضية ، والصلاة التى تتهيأ لها الآن ؟؟ هل آذيت بهما أحدا ؟؟ أم هل قبضت بهما مالا حراما ؟؟ وهل قبضتهما عن فعل معروف ؟؟ أم هل فعلت بهما فعلا لا يحل لك ؟؟ فان تذكرت شرا ، فاندم ، وتب ، واستغفر ، وان أنت تذكرت خيرا فاشكر الله ، اذ وفقك الى الخير .. ثم هكذا فتنقل فى سائر وضوئك .. فبعد كفيك مضمض فمك ثلاثا ، تستاك بأصبعك .. فان كان قد تيسر لك ، فى البداية ، الأستياك بالمسواك فذاك ، والافانو باستياكك بأصبعك أن يسد مسد الأستياك بالمسواك .. وفى اثناء المضمضة حاسب نفسك على لسانك .. هل قلت به باطلا ؟؟ هل آذيت به أحدا ؟؟ هل قبضته عن قولة الحق ؟؟ وعن الذكر ؟؟ وعن القرآن ؟؟ وأسنانك هل أكلت بها لحوم الغافلين ؟؟ هل أكلت بها حراما ؟؟ فان كان أكلك حلالا فهل أسرفت فيه ؟؟ فان أنت تذكرت ، من كل أولئك ، شرا فتب ، واستغفر .. وان تذكرت خيرا فكن لله من الشاكرين .. ثم استنشق الماء ثلاثا ، بحفنة واحدة ، أو بثلاث حفنات .. واستنثر فى كل مرة ، وحاسب فى اثناء ذلك ، ماذا فعلت بأنفك .. هل رفعته على الناس ،

فى غطرسة ؟؟ هل شممت به ما لا يحل لك ؟؟ هل دسسته فيما لا يعنيك من شئون الناس ؟؟ ثم اغسل وجهك ثلاث مرات .. ثم يديك الى المرفقين ، ثلاث مرات .. وفى المرة الثانية أقم ذراعك الأيمن رأسيا ، حتى يخر الماء منه الى أسفل ، وعرض تحته كف يدك اليسرى ، حتى تجمع فيه الماء الذى يخر عن ذراعك الأيمن ، واضرب مرفقك عليه ثلاثا ، لكيما يكون عقب المرفق قد شمله ، وتخلله الماء .. ثم اغسل ذراعك الغسلة الثالثة .. ثم هكذا فافعل بذراعك الأيسر ، وأنت تحاسب نفسك ، فى كل ذلك ، وعلى كل عضو من هذه الأعضاء .. ثم امسح رأسك ، بماء مجدد ، مرة واحدة ، بكفيك ، تقبل بهما ، وتدبر .. ثم امسح أذنيك ، بماء مجدد ، ظاهرهما ، وباطنهما ، وحاسب فى اثناء ذلك ، نفسك على ما اجترحته برأسك ، وبأذنيك .. فتب ، واستغفر ، ان تذكرت شرا .. وكن لله من الشاكرين ، ان تذكرت خيرا .. ثم اذهب الى قدميك ، فاغسل اليمنى ثلاثا ، وخلل الأصابع ، وخلل خطوط راحة القدم ، وخلل الأظافر .. واحرص على غسل العقبين جيدا .. وافعل مثل ذلك برجلك اليسرى ، وأنت تحاسب نفسك ، فى أثناء ذلك .. ماذا اجترحت برجليك ؟؟ هل مشيت بهما نحو حرام ؟؟ هل قبضتهما عن السعى فى الخير ؟؟ هل آذيت بهما أحدا ؟؟ فان تذكرت شرا فتب ، واستغفر .. وان تذكرت خيرا فكن شاكرا لله .. فاذا فرغت من هذا الوضوء فان جسدك قد تطهر من النجاسة الحسية ، وقلبك قد لان بنار الندم ، وتنور بنور الاستغفار ، فتبرأ من الغفلة .. ويرجى لك ، بهذه الهيئة ، اذا دخلت فى الصلاة ، أن تحضر فيها .. هذا من معانى قولهم : « انما يكون الحضور فى الصلاة قبل الدخول فيها » ..

ولقد يظهر لك أن هذه الصورة ، من الوضوء ، تستغرق زمنا طويلا .. والواقع غير ذلك .. فان الوضوء ، لابد فيه من المواصلة ، ومن الدلك .. واستعراضك لشريط أعمالك ، عند غسلك لأعضائك المختلفة ، لا يقتضى الأبطاء ، ولا التراخى الطويل ، فى مواصلة حركات الوضوء .. ثم انك قد تنشغل بخطيئة واحدة ، ارتكبتها بيدك ، مثلا ، يستغرقك الندم عليها طوال فترة الوضوء ، وذلك لجسامة الخطأ الذى قد يطالعك منها ، ثم لا يكون بعملك هذا بأس ، ولا تقصير .. ان المهم انما هو تليين القلب بنار الندم على الخطيئة .. فاذا ما اتفق لك هذا باستحضار خطيئة واحدة فان المقصود قد تم .. عن مثل هذا الوضوء جاء حديث المعصوم : « من توضأ ، فأحسن الوضوء ،

خرجت خطاياه من جسده ، حتى تخرج من تحت أظافره .. » .. ولابد من تقليل الماء .. وتنوى بتقليلك الماء الشكر على النعمة ، فان الماء ، كما بينا ، هو المظهر الحسى للعلم ، وهو أكبر النعم الحسية ، بعد نعمة الحياة .. وليس لتقليل الماء من حد .. فاذا أنت استطعت أن تتمسح بالماء فافعل راشدا .. واحذر أن تتوضأ من المأسورة ، كما يفعل الناس الآن .. فان هذا خطأ شنيع ، يذهب ببركة الوضوء ، ومن ثم ، ببركة الصلاة .. ولا تتوضأ فى الحمام .. ولا تتوضأ وأنت غير مستور العورة .. ولا تتوضأ فى مكان غير طاهر .. فانه ، كما قلنا ، فان الوضوء طرف من الصلاة ، وانه يجب له ، ما يجب لها ، من الحرمة ، والرعاية ..

هذا ، وقد يكون فرضك التيمم ، لعدم وجودك الماء ، أو لاستضرارك باستعماله .. فلا تتردد فى ذلك .. ولا تتشدد على نفسك ، ولا تضيق .. واستمتع بالرخصة التى رخص بها الله لك ، ثم كن لله شاكرا ... واعلم أن نفسك لا تستغنى عن الرفق .. وليست العبادة ، قوة ، وانما هى ضعف .. فلا تظهر الاستغناء ، بل أظهر الحاجة الى الرفق .. والله ، تبارك وتعالى : « يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه » .. فان أنت قدرت على الماء ، فلا تنصرف عنه الى الصعيد .. وان أنت عجزت عن الماء ، فلا تتردد فى استعمال الصعيد ، سواء أكانت نجاستك كبرى ، أم صغرى ، حتى ولو استمر بك هذا الحال عدة سنين .. وانما جعلت الطهارة الكبرى ، والصغرى ، بالماء لأنه أصل الحياة الأول .. قال تعالى : « أو لم ير الذين كفروا : أن السموات ، والأرض ، كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى ؟؟ أفلا يؤمنون ؟؟ » ثم اذا تعذر الماء حل محله التراب ، لأنه أصل الحياة الثانى .. قال تعالى : « ومن آياته أن خلقكم من تراب .. ثم اذا أنتم بشر تنتشرون .. » .. فانا قد أمرنا ، من أجل الطهارة الحسية ، أن نرجع الى أصل الحياة الحسية ، وهو الماء .. وفى ذلك اشارة الى وجوب الرجوع ، من أجل الطهارة المعنوية الى أصل الحياة الحقيقى ، وهو الله .. وانما يكون الرجوع الى الله بالعلم .. وهذا هو الذى أوجب أن تسير طهارتنا المعنوية ، الداخلية ، بالعلم ، جنبا الى جنب مع طهارتنا الحسية بالماء .. ولقد فصلنا ذلك تفصيلا .. فليلتزم .. والتيمم انما يكون على الصعيد الطيب ، وهو التراب الطاهر .. ويلحق به الحجر الطبيعى ، غير المصنوع .. فيصح التيمم ، مثلا ، على طوبة « خضراء » ، لا على طوبة « محروقة » ..

ويصح على حجر طبيعى ، لا على حجر مصنوع من الأسمنت ، مثلا .. والتيمم فى غاية البساطة .. هو ضربتان بالكفين : ضربة للوجه ، وضربة لليدين الى المرفقين .. ويجب فى التيمم من الحضور ما يجب فى الوضوء .. وبالصعيد يصح الاستبراء من البول ، والغائط أيضا ..

ويمكنك أن تصلى ، بالوضوء الواحد ، الوقتين ، والثلاثة أوقات .. وكذلك بالتيمم الواحد ، ولكن يستحسن ، والى درجة كبيرة ، أن تجدد الوضوء لكل صلاة .. ومن باب أولى ، أن تجدد التيمم ، وذلك لمكان سهولته .. واذا استطعت أن تكون دائما على وضوء فافعل .. فانك ستجد بركة ذلك ، على التحقيق .. وان استطعت أن تصلى ركعتين ، عقب كل وضوء ، فذلك الخير الذى لا يحصيه محص ، والا ففى مجرد الوضوء خير كثير .. وان كان فرضك الماء ، وعجزت عن أن تكون على وضوء به دائما ، فاضرب الصعيد ، فانه يعطيك الطهارة التى تحفظك ، سائر يومك ، وتكون لك سلاحا ، فى حركاتك ، وسكناتك .. بيد أنك لا تصلى بهذا التيمم ، ما دام فرضك الماء ، لا الصعيد ..

واحذر أن تصلى وأنت « حاقن » تغالب البول ، أو الغائط ، أو الريح .. وهذا أمر كثيرا ما يقع من الناس ، بفعل الكسل عن تجديد الوضوء .. وهو عمل يدل على عدم تقدير الصلاة عندهم .. ومن لا يعظم أمر الصلاة لا يجد من بركتها شيئا .. هذا أمر فى غاية الخطورة ، ويجب التفطن له ..

الصلاة :

فاذا فرغت من الوضوء ، بالكيفية التى ذكرنا ، فلا تجعل بين فراغك منه ، وشروعك فى الصلاة ، وقتا طويلا .. وما يكن بينك ، بعد فراغك من الوضوء ، وبين الصلاة ، من وقت ، فلا تملأه بالغفلة ، والثرثرة ، التى توزعك بعد أن حصلت على جمعيتك بعد الوضوء .. ولكن كن فى ذكر ، وفكر .. واعلم : أن لكل عبادة هيئة .. ولكل هيئة أدب .. والأدب فى العبادة كالروح فى الجسد .. ولقد قال بعض العارفين : ان العبد ليصل « بعبادته » الى « الجنة » ، ويصل «بأدبه» ، فى عبادته ، الى «الله» .. ولما كانت الصلاة عزيزة ، ونفيسة ، فان آدابها لا تكاد تحصى .. وسنذكر ههنا نزرا منها :

أوقـــاتهـــــا :

معلوم أن الصلاة لا تصح الا اذا دخل وقتها .. فاذا ما وقعت قبله فانها تصبح نفلا، ولا تغنى غناء الفرض .. ومن الأدب مع الوقت مراعاته، والشعور بحضرته ،والاحتفاء بمقدمه ، ومن الأدب مع الصلاة اداؤها فى أوله .. وهذا يقتضى الاستعداد لها بالطهارة قبل مقدم الوقت ، حتى اذا ما دخل أول الوقت لم يشغلك عنها شاغل .. ولا تقس أوقات الصلاة بالساعة ، ولكن قسها بمواقع الأرض من الشمس .. فانك بذلك تلتزم الظاهر الذى تنبنى عليه الشريعة .. وبتجويدك هذا الألتزام يرجى لـــك أن تصـــل بظاهر شريعتك الى باطن شريعتك ـــ الى حقيقتك .. ثم انك تحرز ، الى ذلك ، تقليب وجهك فى السماء ، فى الليل ، وفى النهار ، فتجد بركات الفكر ، والذكر ، ببركة طاعة الأمر ، لقوله تعالى : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ؟؟ وما تغنى الآيات ، والنذر ، عن قوم لا يؤمنون ؟؟ » .. ولقوله تعالى : « ان فى خلق الســموات ، والأرض ، واختـــلاف الليل ، والنهار ، لآيات لأولى الألباب * الـــذين يذكـــرون الله قياما ، وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات ، والأرض .. ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك ، فقنا عذاب النار .. » ..

ولنبدأ بوقت الظهر .. فانه يدخل بزوال الشمس عن كبد السماء . وينتهى بغروب الشمس .. ثم وقت العصر .. فهو يبدأ منذ أن يصير ظل كل شىء مثله .. وينتهى بغروب الشمس .. فوقته يسير مع وقت الظهر الى نهـــايته .. فهما ، فى الوقت ، مشتركان .. ثم المغرب .. فان وقته يدخل بغروب الشمس ، ولا ينتهى الا بدخول وقت الصبح .. ثم العشاء فان وقته يدخل بمغيب الشـــفق الأحمر ، ولا ينتهى الا بدخول وقت الصبح ، فوقته يسير مـــع وقت المغرب الى نهايته ، فهما فى الـــوقت مشتركان أيضا .. ويلاحظ هنا ، على خلاف الأمر الشائع ، أن وقت المغرب هـــو أطول الأوقات .. ثم نجىء لوقت الصبح .. فان وقته يدخل بطلوع الفجر الصادق ، وينتهى بشروق الشمس ، الا من غلب عليه النوم . فانه يصلى ، اداء ، لا قضـــاء ، متى استيقظ ، على شرط أن يأخذ فى التأهب للصلاة بمجرد استيقاظه .. وكل صلاة ، أدبها ، وبركتها ، فى أن تصلى لأول الوقت ، الا العشاء ، فان خيرها فى تأخيرها ، على ألا ينام عنها .. والأدب معها ، على كل حال ، أن تجعلها اخـــر عملك من اليوم ..

فان نومك عليها يعينك على القيام لصلاة الثلث .. وصلاة الثلث هى أهم صلاتك ، وأكثرها نفعا ، وبركة .. وهى قد كانت مكتوبة على النبى ، ولم يكن الأصحاب الا مندوبين اليها ندبا ، غير مكلفين بها شرعا .. وهى اليوم ، بفضل الله ، ثم بفضل حكم الوقت : قد أصبحت مكتوبة على هذه الأمة المعاصرة ، التى يطلب اليها أن تبعث سنة النبى ، بعد اندثارها ، لترقى ببعثها الى مقام الأخوان ، أولئك الذين تشوق اليهم النبى حين قال : « واشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : أو لسنا اخوانك يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم أصحابى !! واشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : أولسنا اخوانك يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم أصحابى !! واشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : من اخوانك ؟؟ قال : قوم يجيئون فى آخر الزمان ، للعامل منهم أجر سبعين منكم !! قالوا هنا ، أم منهم ؟؟ قال : بل منكم !! قالوا : لماذا ؟؟ قال : لأنكم تجدون على الخير أعوانا ، ولا يجدون على الخير أعوانا .. » ..

وآية فرضية صلاة الثلث على النبى ، وتخصيصه بها ، قول الله تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك .. عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا .. » .. وقول الله تعالى : « يا أيها المزمل !! * قم الليل .. الا قليلا * نصفه ، أو انقص منه قليلا * أو زد عليه .. ورتل القرآن ترتيلا * انا سنلقى عليك قولا ثقيلا * ان ناشئة الليل هى أشد وطأ .. وأقوم قيلا * ان لك فى النهار سبحا طويلا * واذكر اسم ربك ، وتبتل اليه تبتيلا * رب المشرق ، والمغرب ، لا اله الا هو .. فاتخذه وكيلا » .. وفى هذه الآيات تجىء فضيلتها أيضا ، وهى اعداد القائم بالثلث اعدادا به يتهيأ لتلقى العلم اللدنى : « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » .. القول الثقيل ، فى حق النبى ، انما هو القرآن ، والعلم اللدنى .. وفى حق العباد : المجودين ، انما هو العلم اللدنى .. وكيف يعده هذا القيام لتلقى العلم اللدنى العظيم ؟؟ الجواب : لأن ذلك الوقت من الليل انما هو وقت صفاء الناس ، لسكون الليل ، وهدوء البال : « ان ناشئة الليل هى أشد وطأ .. وأقوم قيلا » يعنى يواطىء فيها القلب ، اللسان ، فيستقر القول ، ويستقيم للخاطر ، ويطمئن القلب ، وتستوى ، لكل أولئك ، الفطرة ، فتفيض المعارف الإلهية ، اللدنية فيضانا يغمر القائم ، الموفق الى التجويد ، من جميع أقطاره ..

وآية فرضيتها على الأمة المعاصرة ، التى يرجى لها أن تنجب الأخوان ، انما هى قول الله تعالى : « قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعونى .. يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم .. والله غفور رحيم » .. وهذا الأمر بالاتباع ظل قائما فى عهد الأصحاب، فى حدود اتباع « الشريعة » « الزاما » ، وفى حدود اتباع اليسور من « السنة » « التزاما » ، أى « تطوعا » ، و (ندبا) .. ولكنه اليوم ، فى عهد الأمة التى يطلب اليها بعث « السنة » لترقى بها مراقى الأخوان ، يصبح ملزما شريعة . ذلك ، كما قلنا ، بفضل الله ، ثم بفضل حكم الوقت .. ويجب أن يكون مفهوما : فان شريعة « الأخوان » هى « سنة » « النبى » ، فى حين أن شريعه « الأصحاب » هى « شريعة » « الرسول » .. وقد فصلنا ذلك تفصيلا فى كتابنا : « طريق محمد » ، الطبعة الثالثة ، مما يغنى عن إعادته هنا .. فليراجع فى موضعه .. ووقت صلاة القيام أوله نصف الليل .. ويجب أن يقام اليه بعد نوم ، يأخذ الجسد فيه راحته ، لتبلغ النفس فيه صفاءها ، وتدرك جمعيتها ، حتى تقبل على الصلاة برغبة .. وآخر وقت صلاة القيام طلوع الفجر الكاذب .. وأدنى صلاة القيام ثلاث ركعات .. وأعلاها ثلاث عشرة ركعة .. وهذه الصلاة عظيمه ، عظيمه .. ويجب ان لا تفرط فيها ، ان كنت تبتغى مداخل العرفان .. ويجب ان يكون واضحا : فان صلاة « التراويح » التى يصليها الناس ، منذ حين ، والى عهدنا الحاضر ، فى أول الليل ، فى رمضان ، ويسمونها « صلاة القيام » ليست هى بصلاة قيام ، على الاطلاق .. وانما هى « بدعة » ابتدعها أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، على أثر ما جرى من النبى للناس ، فى ليلتين أوقفها بعدهما .. وقال ، لمن كان ينتظر خروجه اليهم ، من الأصحاب ، لأدائها : خشيت أن تكتب عليكم .. وأما عمر فانه قد وجد ، على عهده ، الناس يصلونها ، فى المسجد ، فرادى .. ووجد بعضهم يشوش على بعض ، باختلاط قراءاتهم .. فقال : « لو جمعناهم على امام » .. فجمعهم .. ثم اطلع عليهم ، ذات ليلة ، وهم يصلونها خلف امامهم ، فقال : « انها لبدعة ، ونعمت البدعة ، والذى ينامون عنه أفضل من الذى يقومونه » .. يعنى

الوقت ، من الليل ، الذى ينامون عنه ، وهو الثلث الأخير ، أفضل من الوقت الذى يقومونه منه ، وهو أوله .. وقد ظلت بدعة «التراويح» تمارس الى يومنا الحاضر .. وقد أنى لها أن تقف .. ذلك بأن حكم الوقت اليوم يقضى بايقاف كل البدع الحسنة .. فانه وقت التزام « السنة » ، لا وكس ، ولا شطط .. فلم تغادر « السنة » صغيرة ، ولا كبيرة ، نحتاجها فى أمر معاشنا ، وأمر معادنا ، الا وجهت فيه توجيها سديدا .. وان حكم الوقت الحاضر ليقضى ببعث السنة التى عجز عن اتباعها الأصحاب .. لا تصل « التراويح » .. ولا تنم الثلث من الليل .. ولاتزد ، فى صلاة الليل ، عن الثلاث عشرة ، لا فى رمضان ، ولا فى غير رمضان .. وان فاتتك ، لنوم غلب عليك ، فاقضها فى الضحى ، وصلها شفعية .. اثنتين ، أو أربعا ، أو ستا ، الى اثنتى عشرة .. تأتى من ذلك ما تطيق .. واقضها بنية توكيدها الى النفس ، كعقوبة لها على فوات الثلث .. فان ذلك الصنيع يورث النفس من الندم على فواته ما يوقظ فيها رقيبا عليها ، ينهضها من الليل ..

هيئة الصلاة :

للصلاة حضرتان : حضرة « الاحرام » ، وحضرة « السلام » .. فأما حضرة الاحرام فهى الصلاة الشرعية المعروفة ، لأوقاتها ، وكيفياتها .. وهى تبدأ « بتكبيرة الأحرام » ، وتنتهى باتمام ركعاتها ، وترية كانت ، أم شفعية ، وبالخروج منها بعبارة : « السلام عليكم » .. وأما حضرة السلام فتبدأ بالخروج من حضرة الأحرام ، وتنتهى باسلامك الى حضرة الأحرام ، فى الصلاة المقبلة .. وهى ، هى المعاملة التى قال عنها النبى : « الدين المعاملة » .. ولكلتا حضرتى الصلاة آداب ، لا تستقيم الا بها .. والمعنى الشامل لآداب كلتيهما هو الحضور مع الله أثناء ادائهما .. ومن أجل الوفاء بالحضور فى حضرة الأحرام فرغ نفسك لها .. فلا تقبل عليها بوضوء قديم ، وأنت تشعر بالحاجة الى « بيت الخلاء » .. بل اذهب « لبيت الخلاء » فاستبرىء ، وجدد وضوءك .. واذا كنت فى حاجة الى طعام ، أو

شراب ، فابدأ بالطعام ، والشراب ، حتى تكفى حاجة نفسك ،لتقبل على الصلاة ،وهى فى جمعية ، لا تتلفت الى الطعام ، والشراب .. قال المعصوم : « اذا قدم العشاء ، فابدأوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ، ولا تعجلوا عن عشائكم .. » .. وانما من قلة الفقه يتورط كثير من الناس ، الآن ، فى رمضان ، حين يجلسون الى القطور ، فيتناول أحدهم « بلحة » واحدة ، ويجرع جرعتين من الماء المطلق ، ثم ينهض لصلاة المغرب .. ثم هم ، بعد الصلاة ، يقبلون على الأكل ، والشرب .. فبمثل هذا الصنيع تنقص الصلاة ، لأن حاجة النفس الى الطعام ، والشراب ، وقد صامت عنهما طوال النهار ،وهما حاضران أمامها ،وتنبعث منهما رائحتهما الشهية ،هذه الحاجة تجعل النفس موزعة ، كثيرة التلفت ، مما ينقص حظها من الحضور .. والفقه يقضى علينا بأن نتفرغ للصلاة بتناول حاجتنا من الطعام ، لا أن نتفرغ للطعام بالتخلص من لصلاة .. فاذا قمت الى الصلاة ، بعد ذلك ، فاذكر اسم الله ، واستقبل القبلة ، وباعد بين رجليك قليلا ، وانصب قامتك ، فى غير توتر ، ولا شد للعضلات ، ولكن حاول أن تسترخى مع انتصاب قامتك .. وأحضر نية الصلاة .. ثم أقم الصلاة .. والاقامة هكذا :«الله اكبر ..الله اكبر ..أشهد أن لا اله الا الله ..اشهد أن محمدا رسول الله .. حى على الصلاة .. حى على الفلاح .. قد قامت الصلاة .. قد قامت الصلاة .. الله أكبر .. الله اكبر..لا اله الا الله..»،ثم استحضر نية الصلاة المعينة التى أنت مقبل على أدائها ..ثم أرفع يديك ،بحذاء منكبيك ،فاتحا كفيهما ،مستقبلا القبلة بهما ، ومستشعرا ، بهذه الهيئة ، التخلى عن كل شىء .. محاولا ، عند التكبيرة ، أن يكون « الله » « أكبر » شيىء فى صدرك .. ثم قل : « الله أكبر » وأهو بيديك .. ثم ضع يمينك على شمالك ، فوق قلبك ، فى حالة قبضك ، فلكأنك تحاول استلام قلبك بيديك ، لتثبته من الجولان .. و « القبض » ، فى الصلاة ، مرحلى .. و « السدل » أكمل منه .. ولكن السدل انما يستقيم للمصلى فى حالة الأستواء،والنضج،مما يجعل الحضور ميسرا بغير عناء..ثم أشرع فى القراءة بفاتحة الكتاب ، متمهلا ، ومتمكنا ، تظهر الحروف ، وتظهر الكلمات ، وتفكر ، وتتأمل فى

المعانى .. فاذا قلت : « غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين .. » .. فقل آمين .. ثم أشرع فى قراءة السورة .. فاذا قرأت ،مثلا : « ألم نشرح لك صدرك ❊ ووضعنا عنك وزرك ❊ الذى أنقض ظهرك ❊ ورفعنا لك ذكرك ❊ فان مع العسر يسرا ❊ ان مع العسر يسرا ❊ فاذا فرغت فانصب ❊ والى ربك فارغب .. » .. فاعلم أن « كاف » الخطاب انما هو لك .. ولا تقل ، كما يقول المفسرون ، فى هذا « الكاف »، « ألم نشرح لك صدرك » يا محمد .. ان المعنى ، فى المقام الأول ، هو محمد ، من غير أدنى ريب .. فهو أكبر من شرح صدره .. والكنك أنت أيضا معنى .. فقد وقع لصدرك شرح على قدر مقامك .. واذا لم تر نفسك فى « كاف » الخطاب هذا فستخرج من الصورة ، لأنك ستكون طرفا زائدا .. سيكون المتكلم هو « الله » ، والمخاطب هو « محمد » ، وستكون أنت متفرجا فقط .. وهذا الوضع لا يعينك على الحضور ، بل انه ليغريك بشرود البال .. فاذا فرغت من قراءة السورة ، وأنت تحاول أن تكون فى جمعية ، فاركع ، ممكنا يديك من ركبتيك ، ومسويا ظهرك .. واهصره قليلا حتى لا يكون محدودبا ، وليكن رأسك فى سواء ظهرك ، غير منكس ، ولا متدل .. وقل ، فى ركوعك ، : « سبحان ربى العظيم !! سبحان ربى العظيم !! سبحان ربى العظيم !! » .. تقولها فى تمهل ، وتفكر ، وتصور لحالك فى انحنائك أمام عظمته .. ثم ارفع من الركوع ، فى تؤدة ، وأناة .. لا تنتر جسمك نترا ، ولا تشد عضلاتك شدا .. حتى تستوى قائما .. وقل ، فى قيامك هذا : « سمع الله لمن حمده .. اللهم ، ربنا !! ولك الحمد .. حمدا ، كثيرا ، طيبا ، مباركا فيه .. » تقولها فى تمهل ، وفى تؤدة ، تبين الحروف ، وتوضح الكلمات ، وتتذوق المعنى .. ثم أهو للسجود .. ولا تكفكف ثوبك ، اثناء ذلك .. وان كان الثوب لا يريحك فلا تصل فيه .. ولتكن أعضاؤك ساكنة ، فلا تحك اجزاء جسدك ، كما يفعل كثير من الناس .. ولا تتثاءب أثناء الصلاة ، فان التثاؤب دليل كسل ، وغفلة .. وضع راحتى يديك حذو منكبيك ، عندما تكون فى هيئة السجود .. ولتكن كفتا يديك مبسوطتين ، وأصابعك غير مفرقة .. مستقبلا برءوس الأصابع القبلة .. ولا تلصق

ذراعيك بالارض ولا بجنبيك ، بل جافهما .. واستقبل برءوس أصابع رجليك القبلة أيضا .. ومكن جبهتك،وأنفك، من موضع سجودك .. ولا تضم ركبتيك،بل أفرجهما، قليلا .. ثم قل ، فى سجودك هذا : « سبحان ربى الأعلى !! سبحان ربى الأعلى !! سبحان ربى الأعلى !! » تقولها فى تؤدة ، وطمأنينة .. توضح الحروف ، وتبين الكلمات ، وتتذوق طعمها ، ومعناها ، وتستشعر خضوعك ، وذلك ، وانكسارك ، أمام علوه ، وعظمته ، وقهره .. ثم ارفع من سجودك هذا .. ثم اجلس ، مفترشا قدم رجلك اليسرى ، وناصبا قدم رجلك اليمنى ، ومستقبلا برءوس أصابعها القبلة .. وقل : « رب اغفرلى !! رب اغفر لى !! رب اغفر لى !! » تقولها فى تؤدة ، وأناة ، وتضرع .. ثم اسجد ، سجدتك الثانية ، على نحو ما فعلت بالأولى .. وقل ، كما قلت فى الأولى : « سبحان ربى الأعلى !! سبحان ربى الاعلى !! سبحان ربى الأعلى !! » .. واستحضر علوه ، وعظمته ، كما فعلت فى سجدتك الأولى .. ثم ارفع من هذا السجود ، واستو جالسا ، جلسة خفيفة ، تنعقد بها الحركة السابعة من حركات الركعة .. ثم انهض قائما لركعتك الثانية .. تكبر تكبيرة القيام اثناء قيامك .. ثم افعل بركعتك الثانية مثل ما فعلت بركعتك الأولى .. فاذا جلست ، بعد الركعتين، فقدم قدم رجلك اليسرى ، وانصب قدم رجلك اليمنى ، واجلس على مقعدتك .. واقبض كفك اليمنى ، مفردا سبابتك ، وضعها فوق ركبتك اليمنى ، وابسط كف يدك اليسرى ، وضعها على ركبتك اليسرى ، ثم حرك سبابتك اليمنى ، مع كلمات التشهد ، موكدا التوحيد ، بافراد الأصبع ، وبحركته .. ثم خذ فى التشهد ، قل : « التحيات لله ، والصلوات ، والطيبات .. السلام عليك أيها النبى !! ورحمة الله ، وبركاته .. السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين .. أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ، ورسوله .. اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم ، وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد ، وآل محمد ، كما باركت على ابراهيم ، وآل ابراهيم ، فى العالمين .. انك حميد مجيد .. » .. فاذا كانت صلاتك ثنائية ، فسلم ، على يمينك ، وعلى شمالك ..

ولا تمدن كلمة « السلام » .. ولا تمطط حروفها .. وقل : « السلام عليكم » ، فى سرعة ، ووضوح ، مع مراعاة الطمأنينة ، والسكينة .. واذا كانت صلاتك ثلاثية ، أو رباعية ، فانهض لأتمامها .. وأفعل مثل ما فعلت فى الركعتين الأوليين .. غير أنك لا تقرأ السورة ، ولا تجهر بقراءتك ، فى الجهرية .. وفى الصلاة الجهرية لا تعل صوتك كثيرا ، لئلا يذهب الصوت العالى بالوقار ، وطمأنينة النفس .. ولا تخفضه كثيرا .. وفى الصلاة السرية أسمع نفسك : « ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا .. » .. ولا تختلف المرأة عن الرجل فيما ذكرنا ، من هيئة .. الا أنها ، حين تقف ، لا تفرج بين قدميها ، وانما تضمهما .. تضم الكعبين ، وتفرج بين المشطين ، ليكون ذلك أدعى الى حفظ تو زنها .. والا أنها لا تجهر فى صلاتها ، فى الجهرية ، الا ما يسمع القريب منها .. وفى السرية تسمع نفسها .. والا فى الثياب التى تسترها .. لأنها ما ينبغى أن يظهر منها الا وجهها ، وراحتا يديها ، وقدماها .. فى حين أن الثياب الساترة للرجل انما هى ، فى أدناها ، ما يستر من سرته الى ركبته .. ثم انك ، حين تصلى ، يجب أن تتخذ ساترا لصلاتك ، حتى لا يمر الناس بينك وبين قبلتك .. والساتر لا يكفى فيه أن يكون ابريقا ، مثلا ، أو إناء ، وانما هو يجب أن يكون عاليا ، وظاهرا ، كالكرسى ، مثلا .. ولا تهمل فى طريق الناس .. بل من الخير أن تأوى الى مكان هادىء ، ومنحاز عن الناس .. ولا تترك فى قبلتك شيئا غير عادى فيشغل بالك ، كالصور ، والأقمشة الشديدة التخطيط .. ولا تصل على سجادة ذات صور ، وتخطيط كثير ، لئلا يوزع بالك .. فمن الخير أن تكون سجادتك بسيطة ، عادية ، ذات لون واحد بسيط .. وليكن نظرك ، اثناء صلاتك ، على موضع سجودك .. ولا تغمض عينيك ، اثناء الصلاة ، فان العينين تصليان أيضا .. المقصود وراء كل هذه الحيل هو أن تجد السبيل الى جمعية نفسك ، فلا تتوزع .. فأنت ، فلا تدع حيلة اذن تبلغك هذه الجمعية الافعلتها .. وكن على ذلك من الحريصين .. لقد ذكرنا ، فى حديثنا هذا ، عن هيئة الصلاة ، حركة يهملها الناس دائما ، وهى الجلسة الخفيفة ، بين الركعة الوترية ، والركعة الشفعية ..

هذه الجلسة التى تكون بعد الرفع من السجدة الثانية ، وقبل القيام الى الركعة الثانية ، أو الى الركعة الرابعة ، فى الرباعية .. هذه الجلسة الخفيفة هى التى تنعقد بها الحركة السابعة للركعة .. فان كل ركعة ، من ركعاتنا ، ذات سبع حركات .. قيام ، وركوع ، ورفع من الركوع ، وسجود أول ، ورفع منه ، وسجود ثان ، ورفع منه .. وانما بجلسة الأستراحة هذه تتميز الحركة السابعة للركعة .. وهذه سبع الحركات ، انما تشير الى أطوار الخلقة السبعة .. قال تعالى : « ولقد خلقنا الأنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما .. ثم أنشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله ، أحسن الخالقين » .. وقال تعالى : « ان ربكم الله الذى خلق السموات ، والأرض ، فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش .. يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا .. والشمس ، والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره .. ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .. فهو قد أشار الى الحركة « السابعة » فى الآية الأولى بقوله ، جل من قائل : « ثم أنشأناه خلقا آخر » ، وفى الآية الثانية بقوله : « ثم استوى على العرش » .. وهذه العبارة عندنا تقابل فى التوراة ، عند اليهود ، قولهم : ان الله استراح فى اليوم السابع ، بعد أن خلق السموات ، والأرض ، فى ستة أيام .. والفارق ، بيننا وبينهم ، فارق معرفة ، جاء به الفضل الألهى ، ثم حكم الوقت ، بالتقدم العرفانى .. فنحن ننزه الله ، تبارك وتعالى ، من أن يمسه تعب ، أو لغوب .. ولكن العبارة ، مع فارق حكم الوقت ، تعنى بشىء واحد .. ثم ان الصلوات فرضت ، لدى المعراج ، من فوق السموات السبع .. وفى كل موضع من السموات ملك يمثل حركة من حركات الصلاة السبع .. فملائكة السماء الأولى قيام ، يمثلون قيام الصلاة الأول ، وهذه عبادتهم .. وملائكة السماء الثانية ركوع ، يمثلون حركة الركوع ، وهذه عبادتهم .. وملائكة السماء الثالثة يمثلون الرفع من الركوع ، وهذه عبادتهم .. وملائكة السماء الرابعة سجود ، يمثلون حركة السجود الأول ، وهذه عبادتهم .. وملائكة السماء

الخامسة يمثلون الرفع من السجود ، وهذه عبادتهم .. وملائكة السماء السادسة يمثلون السجود الثانى ، وهده عبادتهم .. وملائكه السماء السابعة يمثلون الرفع من السجود الثانى ، فى وضع هذه الجلسة الصغيرة ، وهده عبادتهم .. وأجور جميع هؤلاء الملائكة مسخره للأنسان ليتم بها استنقاذه من الظلام الى النور ، بفضل الله ، ثم بفضل هدا العون الملائكى العظيم .. يقول تعالى فى ذلك : « هو الذى يصلى عليكم ، وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور .. وكان بالمؤمنين رحيما » .. فأنت ، فى أثناء حركات صلاتك ، ينبغى أن تتذكر هذا الفضل الواسع ، وهده النعمة التى لاتحصى .. ثم ان الصلاة ارتقاء فى مراتب النفوس السبع .. وهى ، فى حقيقتها ، انما فرضت فى مرتبة النفس السابعة ـ النفس الكاملة ـ ثم نزل منها السلم الى مرتبة النفس الأولى ـ النفس الأمارة ـ ليرتقى بها المرتقى ، من هذه النفس الأمارة ، الى النفس الكاملة .. ففى مقام النفس الكاملة فرضت صلاة « الصلة » ، وهى صلاة « الحقيقة » .. ومن هذه تنزل السلم ، فجاءت ، فى أدنى درجاته ، صلاة « المعراج » ، وهى الصلاة الشرعية .. وقد أخبرنا النبى عن كلتيهما فقال : « الصلاة صلة بين العبد وربه » .. وقال : « الصلاة معراج العبد الى ربه » ولكنا لم نفهم عنه ، كما ينبغى .. وحكم الوقت يطلب الينا أن نفهم فهما جديدا ، ودقيقا ، هاتين العبارتين ، فلا نظل بصلاتنا الشرعية فى أول عتبة من عتبات السلم ، وانما نعرج عليها ، كما هو مراد الله لنا أن نفعل ، لنرقى مراقى النفوس ، فى القرب منه تعالى .. نرقى من النفس الأمارة ، الى النفس اللوامة ، الى النفس الملهمة ، الى النفس المطمئنة ، الى النفس الراضية ، الى النفس المرضية ، الى النفس الكاملة .. وهذه المراقى تحققها صلاة « المعراج » ، اذا عرجنا بها الى حيث تتحقق ، عند النفس الكاملة ، صلاة « الصلة » .. ونحن لا نستطيع أن نعرج بصلاة « المعراج » الى مقام صلاة « الصلة » الا اذا كان هناك قدر ، دائما ، من صلاة « الصلة » ، فى صلاة « المعراج » .. ولا يتم لنا ذلك الا اذا أحسنا الأداء على نحو مما وصفنا لك هنا .. وفى الحق ، فانه لا تكون صلاة « المعراج » صلاة ،

على الاطلاق ، الا اذا كان فيها هذا القدر من صلاة « الصلة » ـ قل أو كثر ـ أعنى من الحضور مع الله فيها .. هذا هو معنى صلاة « الصلة » .. ثم ان هذا الحضور يزيد بالتجويد ، كل حين ، وغايته أن تكون مع الله ، كما هو معك ، وهيهات !! لقد ذكرنا لك ههنا هيئة واحدة ، من هيئات الصلاة .. والمطلوب منك هو أن تكثر من الاطلاع على الحديث النبوى لتجد لنفسك ، من هيئات صلاة النبى ، هيئة ثانية ، وثالثة .. فهيئات صلاته كثر .. فانك ، ان تفعل ، فان هذا حليق أن يعينك على التنويع ، وعلى الخروج من الرتابة .. وبالخروج من الرتابة تهش النفس ، وتبش ، وتنشط .. هذا يكفى هنا فيما يخص حضرة « الاحرام » .

حضرة السلام

وأما حضرة « السلام » فهى تبدأ ، كما ذكرنا ، بخروجك من حضرة « الأحرام » ، وذلك بقولك : « السلام عليكم » ، وتنتهى بدخولك فى حضرة « الاحرام » ، من جديد ، من صلاتك المقبلة ، وذلك بقولك « الله أكبر » .. فحضرة السلام هى الصلاة بين الصلاتين .. وهى الصلاة الوسطى .. وهى ، هى المعنية بقوله تعالى : « حافظوا على الصلوات ، والصلاه الوسطى .. وقوموا لله قانتين .. » .. هى الصلاة الوسطى .. معلوم أنه وارد أن هناك حديثا ماثورا عن النبى قاله يوم الأحزاب يبين به أن الصلاة الوسطي هي صلاة العصر ، والحديث يرويه الامام على ابن أبي طالب ، ومتنه : « شغلونا عن الصلاة الوسطى ـ صلاة العصر ـ ملا الله بيوتهم ، وقبورهم ، نارا » ، ولكنه معلوم أيضا أن النبى قد قال : « الدين المعاملة » ، وقال : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .. فانه جعل الدين كله « المعاملة » حين قال فى حديثه الأول : « الدين المعاملة » .. وفى حديثه الثانى كأنه قد قال : « لم أبعث الا لأتمم مكارم الأخلاق » .. ومن هذين الحديثين يعطينا حكم الوقت الحق فى أن نفهم ، بل أنه ليوجب علينا أن نفهم ، أن « الصلاة » الوسطى ، التى أفردها

الله بالعناية الخاصة ، حين قال : « حافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى » ؛ هذه « الصلاة » انما هى الصلاة بين الصلاتين ، كما قلنا ، وهى تعنى « المعاملة » .. هذا هو الفهم الذى يليق بعصرنا .. والقاعدة فى حسن « المعاملة » هى أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .. فانه كما تدين تدان .. ووارد قول المعصوم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .. ووارد : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ، ويده » .. ويستقيم مع عصرنا ـ مع حكم الوقت ـ أن تفهم كلمة « المسلمون » الواردة فى الحديث بمعنى الأسلام العام وهى ، من هنا ، انما تعنى الأحياء ، والأشياء .. المسلم من سلمت الاحياء ، والاشياء ، من لسانه ويده .. والأدب ، فى حضرة « السلام » ، كما هو فى حضرة « الاحرام » ، جماعه الحضور مع الله .. فهو يقع بين « المراقبة » و « المحاسبة » .. فبالمراقبة استدراك الأمر قبل أن يفلت .. تراقب جوارحك ، وحواسك ، وتدفع شرك عن الناس .. ثم ، ان انت زدت عن هذه ، فتحتمل اذى الناس .. ثم ، ان أنت زدت عن هذه ، فتوصل الخير الى الناس .. فان أدنى مراتب « الصلاة الوسطى » انما هو كف الأذى ، واحتمال الاذى .. فان أنت أعيتك المراقبة ، وافلت منك الزمام ، وتورطت فى الهلكة ، فانك بالمحاسبة ترقع ما وهن من سيرتك بين الناس .. والمحاسبة تجرى أثناء الوضوء ، كما بينا ، فى هذا الباب .. وبالكيفية التى بينا .. وتجرى فى جميع أوقاتك ، وبخاصة عقيب تورطك فى الخطأ .. ثم انها فى السحر ، تكون فى أحسن حالاتها .. ذلك لأن الوقت يكون صافيا ، ولأن النفس تكون نشطة ، ومقبلة على فعل الخير ، ولأن الأستجابة فى ذلك الوقت من الليل قريبة .. وهذا ما تحدثنا عنه فى الباب الأول ، عند الحديث عن فائدة الأستغفار ..

انك حين تعيش بين حضرتى الصلاة ـ حضرة « الأحرام » وحضرة « السلام » ـ تكون حياتك كلها صلاة .. وهذا هو المراد منك .. فان الله ، تبارك وتعالى ، قد قال : « وما خلقت الجن ، والأنس الا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ، ذو القوة المتين .. » .. « ما أريد منهم من

رزق » ، يعنى لأنفسهم ، ولا لغيرهم .. قوله : « وما أريد أن يطعمون » يعنى أنفسهم ، ولا غيرهم .. ثم قال : « ان الله هو الرزاق ، ذو القوة المتين » فكأن سبب الرزق يمكن أن يكون تجويد العبادة ، اذا استطعنا أن نجود العبادة الى هذا المستوى الرفيع .. ذلك بأن المعصوم قد قال : « لو توكلتم على الله ، حق توكله : لرزقكم كما يرزق الطير ، ولعلمتم العلم الذى لا جهل بعده .. وما علم ذلك أحد !! قالوا : ولا أنت ؟؟ قال : ولا أنا !! قالوا : ماكنا نظن الأنبياء تقصر عن شيء !! قال : ان الله أجل ، وأخطر ، من أن يحيط بما عنده أحد !! » .. وفى موضع آخر ، عن الرزق ، قال : « لو توكلتم على الله ، حق توكله ، لرزقكم ، كما يرزق الطير .. تغدو خماصا ، وتروح بطانا .. » .. ودونكم القرآن !! مرة أخرى ..

فانه قد قال : « وأمر أهلك بالصلاة ، واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا .. نحن نرزقك .. والعاقبة للتقوى .. » ..ولقد قال العارفون فى آية « وما خلقت الجن ، والأنس ، الا ليعبدون » .. اذا كانت الغاية من وجودنا هى أن نعبد الله فهل تتحقق هذه الغاية بصلاتنا خمس صلوات ، فى اليوم ،والليلة ، لا تأخذ منا ، فى مجموعها ، أكثر من ثلث الساعة ، من الأربع والعشرين ساعة ؟؟ وهل تتحقق بصيامنا شهرا من اثنى عشر شهرا ؟؟ وهل تتحقق بأن نزكى بالعشر ، أو نصف العشر ، او ربع العشر ، من مالنا ، نخرجه بعد أن تملك النصاب ، وبعد أن يحول ، على هذا النصاب ، الحول ؟؟ وهل تتحقق بأن نحج ، مرة فى العمر ، لمن استطاع الى الحج السبيل ؟؟ قالوا : انما هذه هى الحد الأدنى .. هذه هى الأركان التى بنى عليها الاسلام .. وهى « الحد الأدنى » .. مادونها اسلام .. من جحد واحداً منها خرج من « الملة » .. ومن تهاون فى أداء أى منها كان من العاصين .. والمطلوب حقا هو أن نقارب بين عباداتنا ، وبين عادات حياتنا ، حتى تفضى بنا عبادتنا الى عبوديتنا .. والعبودية هى أن تكون كلك لله .. قال تعالى يأمر نبيه : « قل : ان صلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى ، لله ، رب العالمين ، لا شريك له .. وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » فانك يجب أن تتجه الى أن تجعل حياتك كلها عملا متصلا فى

سبيل الله ، حتى يكون كل وقتك فكرا ، وذكرا : « قل ان صلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى ، لله ، رب العالمين ، لا شريك له .. وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » .. هكذا فكن .. وسبيلك الى هذا أن تعيش بين حضرتى الصلاة ـ حضرة « الأحرام » ، وحضرة « السلام » ..

لقد قررنا أن حضرة الأحرام ، عمدتها من كتاب الله ، قوله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب .. والعمل الصالح يرفعه » .. وقلنا ان : « الكلم الطيب » ، انما هو : « لا اله الا الله » .. و « العمل الصالح » ، انما هو الصلاة ، ثم هو كل عمل صالح، فى معاملة الناس .. ونحب أن نختم حديثنا لك هنا بأمر يعينك على نقل عبادتك لتشيع فى كل حياتك ..

هناك أربع صيغ للتوحيد : « لا اله الا الله » .. و « لا اله الا أنت » .. و « لا اله الا أنا » .. و « لا اله الا هو » .. ولقد تحدثنا عن كل هذه ، فى مقدمة الطبعة الثانية ، من كتابنا : « لا اله الا الله » ، فى صفحة عشرين .. وتهمنا هنا الصيغة الثانية ،وهى « لا اله الا أنت » .. وهى مأخوذة من قول الله تعالى ، عن لسان يونس بن متى : « وذا النون ، اذ ذهب مغاضبا ، فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى فى الظلمات : أن لا اله الا أنت ، سبحانك !! انى كنت من الظالمين » ولقد قلنا عنها ، فى ذلك الكتاب ، من صفحة ٢١ : (وأما « لا اله الا أنت » فهى صيغة خاصة ، ومجرد لفظها يشعر قائلها بأنه أمام مخاطب حاضر .. وهذا يوجب عليه ذكرها بحضور ، واقبال .. ولقد قيلت فى حالة خلوة ليس فيها سعة للغفلة .. وهى ، اذا قيلت فى حالة ضيق تشبه حالة صاحبها حين قالها ، او قيلت فى حالة معرفة بالله توجب الحضور معه ، وتحارب الغفلة عنه ، فانها اسم الله « الأعظم » .. وتحقيق العبودية بها أقرب من تحقيقها بأى من الصيغ الأربع التى وردت الاشارة اليها ..) ونحب أن نقرر هنا أن : « لا اله الا الله » هى « الكلم الطيب » لحضرة « الأحرام » ، من حضرتى الصلاة ، هى أولى ، بها وبغيرها ، لأنها أعم .. وأن « لا اله الا أنت » هى « الكلم الطيب » لحضرة « السلام » ، من حضرتى الصلاة ،

هى أولى بها ، لأنها أخص .. وخصوصيتها تناسب خصوصية حضرة « السلام » تلك التى قلنا انها هى الصلاة الوسطى ، والتى خصصها الله بذكر زائد ، وذلك حين قال ، جل من قائل : « وحافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى » .. وحضرة « السلام » هى حضرة « المعاملة » ـ معاملتك لربك ، ومعاملتك لنفسك ، ومعاملتك لأخيك ـ وما هى الا نفسك .. لقد ذكرنا أن الأمام عليا قد قال : (انا منذ حين ما أحسنت لأحد قط ، ولا أسأت لأحد قط) .. فلما رأى الاستغراب على وجوه السامعين ، قال : (ما أحسنت الا لنفسى ، ولا أسأت الا لها !! دونكم القرآن!! « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها .. وما ربك بظلام للعبيد » .. أو قال:«ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم،وان أسأتم فلها»)..فأما أنت فاعلم أنها انما هى نفسك .. فانت أنانى ، ومغرض .. وكمالك انما هو فى أن تكون أنانيا ،ومغرضا .. فأنتا لا نعمل لغير غرض .. نحن لا نعبد الله الا لغرض .. ومن ظن غير ذلك فهو جاهل .. ان غرضنا من عبادة الله هو سعادتنا ، وانما من أجل ذلك خلقنا الله .. وهو حين قال ، تبارك وتعالى : « وما خلقت الجن ، والأنس ، الا ليعبدون » انما عنى ذلك .. فانه هو ، تبارك ، وتعالى ، الغنى الحميد .. هو غنى عن العبادة ، والعباد ، ولكننا نحن المحتاجون .. وقوله ، اذن ، انما يعنى : وما خلقت الجن ، والأنس ، الا ليسعدوا على بمعرفتهم اياى ، وذلك بوسيلة العبادة ..

انما هى نفسك ، اذن ، ولقد قلنا : انك «أنانى» ، و «مغرض»، وقلنا ان كمالك فى أن تكون « أنانيا » ، و « مغرضا » .. ولكن يجب أن يكون واضحا فان الأنانية المحمودة انما هى الأنانية « العليا » ، لا الأنانية « السفلى » .. وان الغرض المحمود لهو « الغرض » الذى يكون فى « جنب » « الله » .. لا فى (جانب) (الدنيا) .. وأنانيتك ، اذن ، تقع فى مستويين : مستوى الأنانية « السفلى » ـ أى « أنا » .. ومستوى الأنانية « العليا » ـ الـ « أنت » .. وأنت انما يجب عليك أن تسير الى أنانيتك العليا بمعارضة ، ومجاهدة ، دواعى انانيتك السفلى .. وانما عن هذه الأنانية السفلى جاء قول المعصوم : « ان أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك » ..

فالأنانية السفلى عند الشيطان ، والأنانية العليا عند الرحمن .. والسير انما هو انتقال من معسكر الشيطان ، الى معسكر الرحمن .. هذا هو معنى قولهم : « سيرك منك ، وصولك اليك » ..

ولما كانت الأنانية العليا هي أل « أنت » فقد أصبحت صيغة « لا اله الا أنت ، سبحانك !! انى كنت من الظالمين » .. هى ألزم الصيغ لحضرة الصلاة الوسطى ـ لحضرة المعاملة ـ و « أنت » هنا انما تعنى الله ، وتعنيك أنت ، وتعنى « صاحبك الآخر » .. وصاحبك الآخر هذا يشمل جميع الأحياء ، والأشياء ، ابتداء من زوجتك .. ففى العبادة : « لا اله الا أنت » تعنى نفى الشريك . ومخاطبة الله كفاحا بالأقرار له بالتفرد بالربوبية ، وأولى هؤلاء الشركاء بالنفى هو نفسك ـ أخلص العبادة لله .. وأخرج حظ نفسك منها تكن عبدا عابدا .. ومن أجل ذلك فان صيغة « لا اله الا أنت ، سبحانك !! انى كنت من الظالمين » تحقق العبودية بأسرع مما تحققها أى صيغة من الصيغ الأربع ، التى أسلفنا اليها الأشارة .

وفى السلوك : « لا اله الا أنت » تعنى نفى الأنانية السفلى .. والتشمير ، والجد ، فى السير نحو الأنانية العليا .. فانه ، كما قلنا ، فان « أنت » فى السلوك تعنى « نفسك العليا » ، وهذا يعنى نفى الهوى من العمل ، وهو ماعناه المعصوم حين قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .. وانما هذا مأخوذ من اخلاص العبادة لله المطلوب فى قوله تعالى : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق .. فاعبد الله مخلصا له الدين * ألا لله الدين الخالص .. والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .. ان الله يحكم بينهم فى ماهم فيه يختلفون .. ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار » .. « ألا لله الدين الخالص » .. « الخالص » من شوائب أغراض النفس السفلى .. وأنت لا تستطيع أن تتخلص من شوائب أغراض النفس السفلى الا باتقان الصلاة فى حضرتى « الأحرام » ، و « السلام » .. وقد تحدثنا عن حضرة « الأحرام » ، ونحن هنا فى حضرة السلام » .. ففى المعاملة : « لا اله الا أنت » تعنى العمل من أجل الآخرين ..

فان « أنت » هنا تعنى : « صاحبك الآخر » ، ابتداء من زوجتك وانتهاء بأبسط الأحياء ، والاشياء ، فى بيئتك .. فليكن شعارك « العمل للغير » قل : « أنت » دائما، ولا تقل : « أنا » ، أبدا .. « أنت » دائما .. ولا تنس : ان أقرب طريق الى ال « أنت » التى هى « نفسك العليا » ، انما هو العمل لأسعاد أل « أنت » التى هى : « صاحبك الآخر .. » .. ان اقرب السبل لأسعاد نفسك هو السبيل الذى يتجه الى اسعاد غيرك .. فان أنت اتخذت الطريق « المباشر » للبحث عن سعادة نفسك ، فانك ، من غير أدنى ريب ، تصل الى التعاسة ، وبسرعة .. فأنت ، اذا كنت زوجا ، فان طريقك الى السعادة الزوجية لا يتجه « مباشرة » الى اسعادك نفسك ، وانما ، يتجه الى اسعادك زوجتك .. وما يقال عن الزوج هنا ، يقال عن الزوجة ، بل ويقال عن كل انسان : فان الطريق الى سعادة نفسك يقع فى اتجاه اسعادك الآخرين .. فلتكن صيغة توحيدك « الله » التى تفكر فيها ، دائما ، هى : « لا اله الا أنت » .. فى مضمار العبادة ، وفى مضمار السلوك ، وفى مضمار المعاملة ، على أن يكون فهمك ، فى كل أولئك ، على نحو مما ذكرنا آنفا .. فانك ان تفعل تعش ، دائما ، بين حضرتى الصلاة ، وتكن ، اذن ، فى « صلاة دائمة » .. وهذا هو المراد منك ..

أدب الوقت :

قد جعل الله لكل شيىء وقتا .. قال تعالى : « انا كل شيىء خلقناه بقدر ❊ وما أمرنا الا واحدة ، كلمح بالبصر » .. والأمر هو القضاء ، واعلاه سر القدر .. وسر القدر : ان مصير الأشياء ، والاحياء ، الى الخير المطلق .. لان سر القدر فى « الذات » ، وليس « عند الذات » الا الخير المحض ، فليس للشر هناك مكان .. والقدر هو تنفيذ القضاء فى الزمان ، والمكان .. وهذا التنفيذ هو ما أشارت اليه الآية : « انا كل شيىء خلقناه بقدر .. » .. وقال تعالى : « هو الذى خلقكم من طين ، ثم قضى أجلا .. وأجل مسمى عنده .. ثم أنتم تمترون » وهذه الآية هى فى معنى قوله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية .. وما

كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله .. لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء ، ويثبت .. وعنده أم الكتاب » .. قوله من الآية السابقة « ثم قضى أجلا » هو بمعنى قوله : « يمحو الله مايشاء ، ويثبت » .. وأما قوله : « وأجل مسمى عنده » فهو يعنى : « وعنده أم الكتاب » .. وفى الآيتين اشارة للتطور ، والتحول ، والترقى .. وفى مضمار الترقى ، فى الزمن ، جاءت الأشارة بقوله :« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها .. ثم استوى على العرش .. وسخر الشمس ، والقمر ، كل يجرى لاجل مسمى .. يدبر الامر ، يفصل الايات ، لعلكم بلقاء ربكم توقنون » .. والاجل هو « الزمن » .. و « الزمن » أكبر خلق الله .. « الزمن » هو الكون كله .. ونحن ، البشر ، قد خلقنا الله لنعبده .. وخلق لنا الكون لنسير به اليه وهو قد قال : « خلقت الانسان لى ، وخلقت الاكوان للانسان » .. وهذا فى معنى الحديث القدسى : « ما وسعنى أرضى ، ولا سمائى ، وانما وسعنى قلب عبدى المؤمن » .. فالانسان مطية الله .. والأكوان مطية الانسان .. ثم اننا ، فى بدء نشأتنا ، وقد احتوشتنا ظلمات الجهل ، قد سيرتنا العناصر الصماء الى الله كرها .. ونحن ، كلما خرجنا من جهلنا الى مقام علمنا ، آثرنا الله ، واخترناه ، وسرنا اليه طوعا ، وأصبحت العناصر وسيلتنا ، ومطيتنا ، فى السير اليه .. وسيرنا الى الله انما يكون بالانتصار على ما يستعبدنا من العناصر ، لان سيرنا الى الله ، انما هو العبودية .. والعبوديه هى الانعتاق من كل رق لغير الله .. ونحن الآن ،وفى مرحلة كبيرة من مراحل تطورنا ،لا تزال تسترقنا العناصر .. وأكبر عنصر له علينا أكبر سلطان انما هو عنصر « المكان » و « الزمان » .. أو قل ، ان شئت ، هو عنصر « الزمان » ، فما « المكان » الا مظهر « الزمان » .. والانسان فى عصر الفضاء الحاضر يشعر بالحاجة الى الحرية من سلطان الزمان ، ولذلك فانه يطور فى أدوات نقله ، واتقاله ، يريد أن يبلغ بها من السرعة ما يلغى الزمان ، بالغاء المكان .. هو يبتغى الحرية .. ولكنه يخطىء السبيل اليها .. وسلطان « الزمان » ، هذا القاهر ، هو الذى طوع للماضين أن يشركوه مع الله .. وذلك حين قالوا ،

فيما حكى الله لنا فى القرآن : « وقالوا : ماهى الا حياتنا الدنيا .. نموت ونحيا .. وما يهلكنا الا الدهر .. ومالهم بذلك من علم .. ان هم الا يظنون » .. ان الدين هو وسيلتنا للحرية ، من « الزمان » ، و « المكان » ، لا الآلة .. ومحاولة تحرير الدين لنا من استعباد « الزمن » ايانا هى جوهر الحكمة فى أن للعبادات أوقاتا محددة تؤدى فيها .. فللشهادة ــ « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ــ وقت .. فهى تجب عليك حين تبلغك دعوة الرسول ، من الرسول ، أو ممن هم على قدمه فى الأتباع .. قال تعالى : « لقد جاءكم رسول ، من أنفسكم .. عزيز عليه ، ما عنتم .. حريص عليكم .. بالمؤمنين ، رءوف رحيم ❊ فان تولوا فقل : حسبى الله لا اله الا هو .. عليه توكلت .. وهو رب العرش العظيم .. » .. فاذا أوفيت بالشهادة ، وهى الركن الأول من الاسلام ، وجبت عليك بقية الاركان .. ولكل ركن منها وقت .. فللصلاة أوقات .. قال تعالى : « فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما ، وقعودا ، وعلى جنوبكم .. فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة .. ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .. قوله « كتابا » يعنى فرضا .. قوله « موقوتا » ، يعنى له وقت يؤدى فيه .. وقد تحدثنا عن أوقات الصلاة فى هذا الباب .. وللصوم أيضا وقت .. قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ❊ أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام أخر .. وعلى الذين يطيقونه فدية ، طعام مسكين .. فمن تطوع خيرا ، فهو خير له ، وان تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون ❊ شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبينات من الهدى ، والفرقان .. فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. ومن كان مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام أخر .. يريد الله بكم اليسر .. ولا يريد بكم العسر .. ولتكملوا العدة .. ولتكبروا الله على ماهداكم .. ولعلكم تشكرون » ثم هو ، فى داخل شهر رمضان ، له وقت .. من طلوع الفجر ، الى غروب الشمس .. قال تعالى : « وكلوا واشربوا ، حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ، من الخيط الأسود ، من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل .. » ..

وللزكاة وقت .. وهو مرور الحول .. قال تعالى : « وهو الذى انشأ جنات ، معروشات ، وغير معروشات .. والنخل ، والزرع ، مختلفا أكله ، والزيتون ، والرمان ، متشابها ، وغير متشابه .. كلوا من ثمره اذا أثمر ، وآتوا حقه ، يوم حصاده .. ولا تسرفوا .. انه لا يحب المسرفين » .. وللحج وقت .. قال تعالى : « الحج أشهر معلومات .. فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ،ولا جدال ، فى الحج .. وما تفعلوا من خير يعلمه الله .. وتزودوا !! فان خير الزاد التقوى .. واتقونى ، يا أولى الألباب !! » وحين كان لكل عبادة وقت ، فان لكل عبادة علم ، لا تصح الا به .. ومن ثم ، فان كل عبادة علم ، وعمل بمقتضى العلم .. والعلم الذى لا تصح العبادة الا به هو فرض عين ، على كل عابد .. فمثلا هيئة الوضوء علم لا يصح الوضوء الا به .. وهو فرض عين على كل عابد .. وهيئة الصلاة علم لا تصح الصلاة الا به .. وهو فرض عين على كل عابد ــ أعنى على كل مؤمن ــ ولكل علم أدب .. ولا ينتفع منه الا به .. وروح كل العلوم الأخلاص فيها لوجه الله .. ولذلك فقد قال : « ألا لله الدين الخالص .. » وقال : « اليه يصعد الكلم الطيب .. والعمل الصالح يرفعه » .. و « الكلم الطيب » ، هو التوحيد ، هو الاخلاص ، هو الصدق .. و « العمل الصالح » كل عمل مجود ، مراد به وجه الله .. سواء ، أكان عبادة ، أو معاملة .. وبالعلم النافع ، والعمل المخلص ، تتم العبودية .. وبتمام العبودية يتم التحرير ، والانعتاق ، حتى عن الزمان ، والمكان .. ولكى نصل الى هذه الغاية لابد أن نوفى بأدب الوقت ، فى كل عبادة ..

هناك الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة .. فأما الشريعة فهى قاعدة التكليف العام ، وهى أدنى درجات التكليف ، على المؤمن .. وأما الطريقة فهى النهج المؤكد الذى كان يلتزمه النبى ، فى خاصة نفسه .. وهى ، من ثم ، سنة النبى .. والسنة شريعة ، وزيادة .. وأما الحقيقة فهى حالة القلوب التى تكون عليها من المعرفة بالله ، نتيجة للعمل بالشريعة ، أو للعمل بالطريقة ، حسب مقتضى الحال .. فان كل عمل بالشريعة ، أو بالطريقة ، يثمر حالا .. الا اذا كان عملا باطلا .. ولقد وردت

هذه الثلاث فى حديث المعصوم ، حين قال : « قولى شريعة ، وعملى طريقة ، وحالى حقيقة » .. والشريعة هى تكليف « المؤمن » .. وهى ، من ناحية الالزام ،قصاراه .. وهى ، بالنسبة « للمسلم » ، تكليف فى بداية أمره .. وهى ، بالنسبة اليه ، منفتحة على الطريقة .. « فالمسلم » شريعته السنة .. ثم ان الطريقة منفتحة على الحقيقة .. ومعنى انفتاح الطريقة على الحقيقة : ان المسلم مطلوب منه الترقى المستمر ، من نهج الشريعة ، الى نهج الطريقة ، الى نهج الحقيقة .. وفى نهج الحقيقة ، اذا سدد ، وجود ، يدخل فى مقامات الشرائع الفردية .. فتكون شريعته طرفا من حقيقته .. وهذه هى العبودية .. فانه ، فى مرتبة العبودية ، الطرق الى الله بعد أنفاس الخلائق .. تبلغ كل هذه المراتب بمراعاة الآداب فى العبادة .. فانه قد قيل ، كما سلفت الأشارة : « ان العبد ليصل بعبادته الى الجنة ، ويصل ، بأدبه فى عبادته ، الى الله .. » ..

هناك « أدب وقت » لكل مستوى من المستويات الثلاث .. هناك « أدب وقت » فى مستوى الشريعة ، و « أدب وقت » فى مستوى الطريقة ، و « أدب وقت » فى مستوى الحقيقة .. والتفاوت تفاوت مقدار ، كما هو واضح .. والقاسم المشترك بين آداب الحضرات الثلاث انما هو الحضور فى الوقت .. وليس لاتقان الحضور نهاية فيبلغها ، قال تعالى : « فلا تعجل عليهم ، انما نعد لهم عدا » .. قال الحسن البصرى : « نعد لهم الانفاس الطالعة ، والنازلة » .. فالانسان محاسب ، على كل جزئية ، من جزئيات حياته .. فيم صرفها ؟! وفى قول الله تعالى : « ثم لتسألن ، يومئذ ، عن النعيم » .. قال بعض العارفين : النعيم هو العمر ، منذ أن استهل الانسان صارخا يوم ميلاده ، والى أن يضم فى اكفانه .. يسأل عن كل شيء .. وقمة « آدب الوقت » ، فى هذا المستوى ، هو قول الله تعالى ، عن حالة النبى ، فى تلك الجمعية الكبيرة ، التى اتفقت له فى المعراج : « اذ يغشى السدرة ما يغشى * مازاغ البصر وما طغى » .. قوله تعالى : « مازاغ البصر وما طغى » .. يعنى : قد توقف جولان الفكر بين الماضى ، والمستقبل ..

يعنى : أن النبى قد تم له رفع حجاب الفكر ، وخرج ، بذلك ، عن حكم « الزمان » ، و « المكان » .. تحرر من أكبر العناصر ، فاكتملت لـه العبودية لله ، بهذا الانعتاق الكبير ، من رق العناصر .. وانما يحقق هذا المقام بأتقان الادب فى الشريعة ، وفى الطريقة .. وأول « أدب الوقت » فى الشريعة التوبة .. والتوبة تجب عـلى كـل مسلم .. وهى بمثابة الدخول فى الاسلام ، من جديد ، ولذلك فيحسن بالانسـان المجدد للتوبة أن يغتسل بنية تجديد اسلامه .. وللتوبة ثلاثة أركان : الأقلاع الفورى عن الغفلة ، والندم على ما مضى منها ، والأصرار على عدم العودة اليها .. فاذا صحت للأنسان التائب هذه الأركان الثلاثة ، لا تضره العودة الى الغفلة ، وان حصلت ، وان تكرر حصولها .. ويمكنه أن يعود للتوبة كل حين ، بشرط واحد ، هو أن تصح له الأركان الثلاثة ، دائما .. فانه وارد فى الحديث : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والتائب من الذنب ، وهـو مصر عليه ، كالمستهزىء بربه .. » فاذا تمت التوبة فان « أدب الوقت » الاشتغال بالواجب المباشر .. فان كان الذى يلى التائب ، فور توبته ، هو حضرة « الاحرام » ، مثلا ، فقد وجب عليه أن يدخل فيها لاول الوقت .. وان يستعد لها بالطهارة قبل الدخول فيها .. وقد وصفنا لك هيئة حضرة «الأحرام» فى هذا الباب من الكتاب .. وان كان الواجب المباشر الذى يلى التائب هـو حضرة « السلام » فقد وجب عليه الدخول فيها فورا .. وأدنى « أدب الشريعة » فى حضرة « السـلام » « كف الأذى » عـن الناس .. ثـم ، ان أنت زدت ، وهذا أدخل فى « الطريقة » ، فانك تحتمل أذى الناس .. ثم ، ان أنت زدت ، وهـذا أدخـل فى الحقيقة ، فانك توصل الخير الى الناس ـ تكف الأذى ، وتحتمل الاذى ، وتوصل الخير الى الناس .. ولما كان غرض حضرتى الصلاة ـ حضرة « الاحـرام » وحضرة « السـلام » ـ هو الحضور مع الله ، بمعنى أن يكـون النفس ، الطالع والنازل ، فى سبيل الله .. فـان « أدب الوقت » فيهما يقضى بالمراقبة ، والمحاسبة .. وأهـم أعمال العابد لقمة عيشه .. فيجب أن يصر اصرارا شديدا على تنقيتها من الشوائب .. فانهم قد قالوا : « من أكل الحلال أربعين يومـا انبثقت الحكمة ، مـن قلبه عـلى

لسانه .. » وقالوا : « من أكل الحلال أطاع الله ، أراد أو لم يرد ، ومن أكل الحرام عصى الله أراد أو لم يرد » .. وهذا أمر واضح .. فانه ، مادام الدم الذى يجرى فى شرايينك دم خطيئة ــ دم كسب حرام ــ فانه لا يمكن الا أن يسوق الى حرام .. وفى وقتنا الحاضر ــ وسيقوم هذا ببالك ــ فى حكم المستحيل أن يكسب الانسان عيشه من حلال .. فان وقتنا الحاضر هو الذى أشار اليه النبى حين قال : « فى آخر الوقت القابض على دينه كالقابض على الجمر » .. ولكن ، مع ذلك ، فان الخير كثير وعميم لمن يتعرضون له .. فانه ، فى وقت الغفلة ، أجر التائبين ، المجاهدين ، مضاعف .. وفى آخر حديث المعصوم ، عن الأخوان ، والاصحاب ، وقد أوردناه فى موضع آخر ،قال : «قوم يجيئون ،فى آخر الزمان ،للعامل منهم أجر سبعين منكم .. قالوا : منا أم منهم ؟؟ قال : بل منكم !! قالوا : لماذا ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون على الخير اعوانا !! » وانه لمن سعة الرحمة قول المعصوم : « لو كانت الدنيا دما « عبيطا » ما أكل المؤمن منها الا حلالا » .. والدم « العبيط » هو أحد المحرمات الأربعة الواردة فى قوله تعالى : « قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه ، الا أن يكون ميتة ، أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير ، فانه رجس ، أو فسقا أهل لغير الله به .. فمن اضطر ، غير باغ ، ولا عاد ، فان ربك غفور رحيم .. » .. فالدم العبيط هو الدم « المسفوح » .. وانما مأخذ الحديث من هذه الآية .. والمؤمن ، فى جميع حالاته ، لا يأكل الا حلالا لأنه لا يتناول ا لا الكفاف .. وتناوله الكفاف ، واقتصاره عليه ، يجعله فى حكم المضطر ، غير الباغى ، ولا العادى .. ولقد تحدث المعصوم عن هذا المؤمن ، فى موضع آخر : « حسب المؤمن من الزاد لقيمات يقمن صلبه » فالتائب ، المجاهد ، فى وقتنا الحاضر ، يمكنه أن يحرز الرزق الحلال ، اذا عمل باخلاص ، وصدق ، فى مجال العمل الذى يكسب منه قوته .. فاذا كان موظفا ، أو عاملا ، فيجب عليه ألا يرضى الوظيفة فى عمل يحرمه الشرع ، كبيع الخمر ، مثلا .. أو صنع الخمر ، أو بيع الكلاب ، أو تربية الخنازير .. ثم انه ، حين يقبل « العمل » ، « بالمرتب » المخصص له ، يجب عليه أن

يتفانى فى أدائه ، وأن يحاسب نفسه على تجويد الأداء ، سواء ، أكان عليه رقيب من أصحاب العمل ، أم لم يكن .. فان « الله » هو « الرقيب » .. عليه أن ينتج أكثر مما يتوقع منه أصحاب العمل ، حين خصصوا له « المرتب » .. ثم هو ، ليستوثق من حل اللقمة ، فان عليه لأن يزكى دخله .. ولا أعنى الزكاة الشرعية ، ذات المقادير ، وانما أعنى أن « يتصدق » من دخله ، على من هم فى حاجة ، بغرض أن تكون هذه « الصدقة » غاسلة ، ومطهرة ، لبقية كسبه ، الذى يستهلكه هو ، ومن يعول .. وعليه ، حين يعطى هذه الصدقة ، ألا يشعر باستطالة المحسن ، وانما يشعر بانكسار الشاكر لله ، على أن وفقه ذلك التوفيق .. ثم ، بعد هذه الحيل ، فى تنقية الكسب ، عليك أن تأخذ الكفاف ، وألا تسرف .. لأن الكفاف ، من الدنيا ، دين .. ولذلك فقد كان المعصوم يقول : « اللهم أجعل قوت آل محمد الكفاف » .. وهو ، بالطبع ، لا يدعو هذا الدعاء بدافع الخوف ألا يعطى الكفاف ، وانما بدافع الخوف أن يعطى أكثر من الكفاف .. فانه ، قد قال ، فى موضع آخر : « ما أحب أن يكون لى مثل جبل أحد ، ذهبا ، أنفقه جميعا فى سبيل الله ، الا ثلاثة دريهمات أرصدهن لدين !! » .. فهو ، اذن ، حين دعا الله أن يجعل قوته ، وقوت آله ، الكفاف ، يأتيه كل يوم ، انما اراد أن يكون مخزنه عند الله ، لأنه أوثق بما عند الله ، منه بما فى مخزنه هو .. يدل على هذا قوله ، فى موضع آخر : « لو توكلتم على الله ، حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير .. تغدو خماصا ، وتروح بطانا !! »

ومن « أدب الوقت » قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام .. والمقصود من ذلك فانما هو محاربة « الفضول » .. فان الفضول لا تهدى الى الخير ، وانما تهدى الى « الغفلة » والبعد .. ومن « أدب الوقت » قصر الأمل .. وهذا يحققه الزهد .. فان « الزاهد » فى الدنيا ، متأهب دائما للآخرة .. ولا يظن أحد أن الزهد فى الدنيا يعنى الهروب من العمل ، واللجوء الى المغارات ، والفلوات .. فان حكم الوقت الحاضر الذى أوجب علينا أن نفهم أن الصلاة الوسطى انما هى المعاملة يوجب علينا أن نفهم أن الزهد انما هو ايثار الآخرين ، والتفكير فى سعادة الآخرين ..

فلا تكن رغائبك كثيرة لنفسك .. ولتكن رغائبك كثيرة للمحتاجين من الضعاف . ومن الأطفال .. فان طريق وصولك الى الله انما هو طريق توصيلك الخير الى الخلق .. واذن فان الزهد انما هو التفانى فى العمل ، والتوسع فى الكسب ، على ألا تأخذ من كسبك الا الكفاف ، ثم تعود بباقيه على المحتاجين اليه ممن لا يطيقون الكسب .. فانه ، على مثل هذه الأخلاقية ، تقوم الاشتراكية .. فالزهد يعين على قصر الامل فى الدنيا ، وعلى الاستعداد للرحيل الى الآخرة .. لأن الزاهد انما كنزه فى الآخرة .. ولذلك فقد قال المعصوم : « الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر » .. وكل سجين يتشوق الى يوم الخروج من السجن .. وقال أيضا : « ان روح القدس نفث فى روعى أن أحبب من أحببت فانك مفارقه » .. وهذه اشارة الى أن العاقل ، الكيس ، انما يحب من لا يفارق .. يتجافى عما فى الدنيا ويبتغى ما عند الله .. وقال المسيح ، فى هذا الباب : « حيث يكون كنزك ، يكون قلبك » .. وفى هذا اشارة الى أن الواجب أن يكون عملك فى الدنيا استعدادا للآخرة .. وليس هناك ما يعين على الأنحصار فى الصلاة ، والحضور فيها ، مثل الزهد ، لأن به قصر الامل فى الدنيا .. وقصر الامل يعين على قلة جولان الخاطر .. ومن « أدب الوقت » أيضا ألا يصرف فى غير العمل النافع .. فلا تصحب فى حياتك الا الخيرين .. يقول ابن عطاء الله ، فى ذلك : « لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله .. » .. وهذا فى غاية الأهمية .. وهو من تمام التوبة ، تلك التى بدأنا بها هذا الحديث ، والتى بدأتها أنت باغتسالك ، غسل الجنابة ، وجعلتها حدا فاصلا بين ماضيك ومستقبلك .. من تمام هذه التوبة أن تقاطع من كنت تصاحب ، فى زمن الغفلة ، فانك لا يمكن أن تحتفظ بزملاء الغفلة ، ثم تكون لك نقلة الى عهد جديد .. ولذلك فانهم يقولون : ــ

قاطع لمن واصلت أيام غفلة ❊ فما واصل العذال الا مقاطع ..

يعنون بالعذال الذين يلومونك على التوبة .. وهؤلاء هم زملاء الغفلة .. فانك ان احتفظت بهم يردوك ، ويقطعوك عن العهد الذى أنت عليه مقبل .. ومن « أدب الوقت » حب

الخير للناس .. فان استطعت أن توصل الخير للناس فلا تقعد دون توصيله ، وان عجزت عن توصيله فليكن فى قلبك تعلق به لهم .. ومن « أدب الوقت » كراهة أن نشيع الفاحشة فى الناس .. فان بلغك أن أحدا تورط فى فضيحة فلا تسر لها ، وتصور نفسك فى مكانه ، واكره له ما تكره لها .. ومن « أدب الوقت » ان تحب الوقت ، فتتشوق ، لمجيىء أوقات الصلوات ، كما يشتاق الحبيب للقاء الحبيب .. ولا تعتبر أوقات الفراغ عدوا لك ، فتقتلها فى اللهو ، ولعب « الكشتينة » .. والجلوس على الطرقات تبحلق فى وجوه المارة ، وتضايق نساء جيرانك ، حين يخرجن ، ويدخلن ، فى قضاء حوائج بيوتهن .. ان هذا لمن أسوأ أعمال الرجال ، على التحقيق ، وانه لعمل غير مسئول .. وكل انسان مسئول .. ألم يقل « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » ؟؟ .. ثم أليست الحياة اكبر النعم ؟ وما هى الحياة ان لم تكن « الثوانى » و « الدقائق » و « الساعات » ؟؟ هذه التى نضيعها فى هذه السخافات .. ومن « أدب الوقت » ألا تنام وأنت تهم بمعصية .. فعندما تأوى الى فراشك ، من الليل ، وتتوسد يمينك ، وتستقبل القبلة ، استعرض شريط ما جرى منك ، وماجرى لك فى اليوم ، ثم نق صدرك من جميع الأحقاد ، والضغائن ، وانو فعل الخير ، من غدك .. ومن أجل ذلك فان « أدب الوقت » مع صلاة العشاء أن تكون آخر عملك وألا تثرثر بعدها ، وألا تسمر مع من عسى يتعرضون لأعراض الناس ، ولاجترار سيرهم .. فان أحد الصوفية المعروفين قد كان يقول لأصحابه ، بعد صلاة العشاء : « هل عندنا مداح ؟؟ » فان لم يكونوا ، يقول : « كان ما سوينا خير النوم أخير » .. و « أدب الوقت » بهذه الصورة ييسر لك القيام لصلاة الليل .. وصلاة الليل هى أهم الصلوات ، بعد المكتوبة ، لان فى ظلام الليل تكون النفس قريبة من عنصرها الذى منه صدرت ــ ظلمة الطين ــ ولان فى ظلام الليل تتقيد الحركة ، فلا يصل الى الاذن ما يوزعها .. ولأن فيه يتقيد النظر ، فلا يصل الى العين ما يوزعها .. ولأن فى قيد هاتين الحاستين شيئا من الرهبة ، والخوف الخفيف ، الذى يجعل الداخل متيقظا .. وكل هذا يعين الأنسان على أن

ينسحب من الدوامة الخارجية التى تفرضها علينا « الجلبة » ، وتيقظ الحواس ، ليعيش فى الداخل ، سائحا فى ، ومكتشفا لأغوار النفس .. وهذا ماعناه ، سبحانه وتعالى ، حين قال : « ان ناشئة الليل هى أشد وطأ ، وأقوم قيلا » .. فلا تفرط فى صلاة الليل ، فأنها قد كانت دائما ذخيرة العباد .. والحاجة اليها ، فى وقتنا الحاضر ، أوكد منها فى أى وقت مضى .. ومن « أدب الوقت » فى صلاة الليل أن يقام لها بعد نوم ، يكون الجسم فيه قد أخذ راحته .. ومن « أدب الوقت » فى صلاة الليل أن يلاحظ وقتها ، وهو الثلث الأخير من الليل .. ومن « أدب الوقت » فى صلاة الليل أن تصلى فى الظلام .. ومن « أدب الوقت » فى صلاة الليل أن تصلى فى ثوب طاهر ، أبيض ، نظيف ـ لا فى ثوب ملون ، أو مزركش ، حيث أمكن .. يستوى فى ذلك الرجال والنساء .. ومن « أدب الوقت » فى صلاة الليل ألا تزعج الآخرين بها .. فلتكن حركتك مقتصدة ، فى غير « جلبة » ، ولا ضجيج .. ومن « أدب الوقت » فى صلاة الليل أن تحضر أشياءك التى تحتاجها من أول الليل ، فلا تفتح النور تبحث عن مسواك ، أو عن سجادة ، أو عن أبريق .. ومن الخير أن تصليها فى ركن ، من البيت ، هادىء .. ولا بأس من صلاتها فى فناء الدار ، الا اذا كانت الليلة مقمرة .. والا اذا كانت فى فناء دارك لمبة شارع ، قد حرمتك من ظلمة الليل .. ففى هاتين الحالتين يستحسن أن تأوى الى ركن مظلم .. ومن « أدب الوقت » فى صلاة الليل ألا تسامر أحدا ممن معك فى المنزل .. فلا تسلم على أحد .. ولا تذكر أحدا ، لا بخير ، ولا بشر .. ويجب أن تلاحظ هذا من الثلث الى طلوع الشمس .. فان بعض الناس يقومون لصلاة الصبح ويدخلون فى سمر ، بعد صلاته ، أو قبل صلاته .. ان هذا الوقت هو أنفس أوقات اليوم ، ويجب ألا يجرى فيه الا ذكر « الواحد » .. لا تذكر أحدا ، لا بالشر ، ولا بالخير .. لا تذكر أحدا ، لا !! ولا أخير الناس .. ومن « أدب الوقت » ألا تصرفه فى تعلم علم لا تحتاجه لتجويد العمل فى « العبادة » ، أو « المعاملة » .. فانك انت انما يفرض عليك ، فرض عين ، تعلم كيفية « الوضوء » لانك تتوضأ .. وفرض عين عليك أن تتعلم

كيفية الصلاة لانك تصلى .. ولكنه ليس بفرض عين عليك أن تتعلم كيف تكون زكاة الابل ، اذا كنت ، مثلا ، من سكان أمدرمان ، وليس عندك ابل تزكيها .. ان كل علم لا يراد به الى العمل فانما هو علم « شيطنة » ، فلا يسوق الى التقوى ، وانما يسوق الى الفسوق .. طريق العلم النافع هو « العلم » ، و « العمل » بمقتضى العلم .. فلا تتعلم الا العلم الذى لا تصح العبادة الا به .. ثم اعمل ، وانتظر أن يعلمك « الله » .. فانه قد قال : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .. وتذكر جيدا ان السلف انما كان هكذا يفعل .. فان الدين لم يمت ، فى صدور الناس ، الا بعد أن أصبحوا « يعلمون » ولا « يعملون » .. علمهم أكثر من عملهم ..

ونحن ، لما كنا ، فى هذا الكتيب ، مركزين على الصلاة ، ولما كان الصيام صنو الصلاة ، فانه من الواجب علينا أن نذكر شيئا من : « أدب الوقت » فى الصيام .. سواء ، أكان الصيام تطوعا ، أم مكتوبا .. فانه لمن « أدب الوقت » فى الصيام أن تدخل فيه بنية .. وأن تكون النية متنقلة .. فلا يكن صيامك عن الاكل والشراب فحسب .. ولكن ليكن صيامك استعانة ، بترك الاكل والشراب ، على يقظة الشعور ، وشحذ الفكر ، لتقوم المراقبة لجميع حركاتك وسكناتك فى اليوم .. فليكن صومك فطما لنفسك عن الرغبة فى كل ماسوى الله .. ومن « أدب الوقت » فى الصيام أن تحب وقت الصيام سواء ، أكان رمضان ، أو غير رمضان .. وأنت لا يمكن أن تحب وقت الصيام اذا كان الصيام انما يحرمك من عادات كثيرة ، عودت عليها نفسك ، فى أوقات الفطر .. فانت اذا كنت ، مثلا ، « كييف سفة » ، (و « كيف السفة » معروف) فلا يمكن أن تحب رمضان ، وهو يحرمك من « السفة » .. ولابد أن تشتاق لساعة الغروب ، واشتياقك لساعة الغروب انما يعنى كراهتك للصوم .. ومن أجل ذلك فقد وجب أن تعيش معتدلا ، فلا تتورط فى عادات من « الكيف » تستولى على عقلك .. ومن « أدب الوقت » فى الصوم أن تعجل بالفطور .. والا تعجل نفسك عن الأخذ بحاجتها منه .. أقبل على الفطور ، وخذ حاجتك منه ، فى غير اسراف ، قبل أن تنهض لصلاة المغرب .. ومن « أدب الوقت » فى الصوم أن تؤخر

السحور ، اذا كنت ممن يتسحرون .. فان صيام المجودين يقوم على وجبة واحدة فى اليوم ، ولكن الرخصة بأكثر موجودة .. ومن أدب الصوم ألا يجرى الاستعداد لرمضان بأطايب الأكل والشراب ، وبالاسراف الذى نرى الناس عليه اليوم .. فان الناس ،فى الوقت الحاضر ،يأكلون فى رمضان أكثر مما يأكلون فى غيره من الشهور .. ومن « أدب الوقت » فى الصيام ألا تتعمد نوم « النهار » وذلك بتكلف السهر فى الليل ، فى غير ذكر ، ولا فكر ، كما يفعل الناس اليوم .. ومن « أدب الوقت » فى الصيام ألا تتخذ الصوم ذريعة « لتقليل العمل » ،فتظهر رمضان وكأنه موسم للتبطل، والكسل ، والنوم ، وقلة الانتاج .. انك بذلك تعرضه للذم ، وهو أبرك الشهور ، وابعدها عن الذم .. ومن « ادب الوقت » فى الصوم ، اذا كان تطوعا ، ان تحتفظ به سرا .. ومن « أدب الوقت » فى الصوم ألا تكون لك به شهرة ، كأن تسمى « الصائم » مثلا ، لكثرة ما تعرف به ، فان السنة أن تصوم وتفطر .. ومن « أدب الوقت » فى الصوم الا يكون عادة لك ، حتى يصبح الافطار اصعب عليك من الصيام .. فان محاربة العادة ، روح العبادة ، فانهم قد قالوا : « آفة كل عبادة ان تصبح عادة » .. ومن « أدب الوقت » فى الصيام مرافقته للقيام ـ قيام الثلث .. القيام مطلوب ، فى رمضان ، وفى غير رمضان ، ولكنه فى رمضان أوكد منه فى غيره ، وذلك للقرينة القائمة بين رمضان والقرآن .. « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن » .. قم الثلث ، وأكثر من قراءة القرآن ، فى الصلاة ـ اكرر !! فى الصلاة ـ فان القرآن ، فى الصلاة ، خير العباده .. والقرآن يعطى اسراره فى رمضان ، أكثر مما يعطيها فى غيره من الأزمان .. وأنت حين ، تقرأ القرآن ، فى رمضان ، فى الثلث ، فى الصلاة ، استمع له ، وأنصت .. قال ، جل من قائل : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له ، وأنصتوا .. لعلكم ترحمون * واذكر ربك ، فى نفسك ، تضرعا ، وخيفة ، ودون الجهر من القول ، بالغدو ، والآصال .. ولا تكن من الغافلين * ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ، ويسبحونه ، وله يسجدون » .. « استمعوا له » ، يعنى كونوا حاضرين ، عند القراءة ، « فاستمعوا »

و « فكروا » .. استمعوا بآذانكم ، وفكروا بعقولكم .. ومما يعينك على « الاستماع » تجديد الآيات المقروءة فى الصلاة .. فانك ، كلما صليت بقرآن جديد ، كلما وجدت عقلك مشدودا الى الحضور .. وهذه من أنفع الحيل ليكون الانسان حاضرا ، اثناء القراءة .. أما قوله : « وأنصتوا » فليس معناه مرادفا لـ « فاستمعوا » ، وانما معناه أن نحاول بالأنصات أن نرفع « حجاب الفكر » ، وذلك بأن يؤدى السمع الى القلب ، فى غير تفكر فى المعنى .. فكأنه ، فى «الاستماع»، الأذن تؤدى الى العقل ، وأما ، فى « الانصات » ، فان الاذن تؤدى الى القلب ، بلا واسطة العقل .. وهذا هو معنى قوله تعالى : « ان ناشئة الليل هى أشد وطأ » .. يعنى يواطىء القلب فيها اللسان .. فاذا خرج الصوت بالقرآن ، من اللسان ، أحدث نقرة ، فى القلب ، من غير أن يتفكر العقل فى المعنى .. فتكون الأذن ، كأنما هى صبابة ، تصب نور القرآن فى القلب صبا .. وهذه تبعث واردات القرآن ، من القلب الى العقل ، فيكون العبد ، ساعتئذ ، متلقيا من الله بلا واسطة .. والأنصات أعز حالات التلقى .. وهو لا يتم ، الا بفضل الله ثم بفضل المران الطويل على «الاستماع» .. ومن الأدب الذى يعين على تحصيل « الأنصات » أنك ، حيث سمعت القرآن يتلى ، سواء ، أكان فى بيت مأتم ، أو من المذياع « فاستمع » له ، ولا تنشغل عنه بغيره .. حتى ولو وصلك صوت التلاوة من مذياع الجيران ، متقطعا ، مرة يبلغك ، فى وضوح ، ومرة ينخفض ، فلا يكاد يبلغ أذنك ، فحاول أن « تستمع » ، وأن تتابع .. ان هذا التنفيذ « الحرفى » « للأمر » « بالاستماع » من قوله تعالى : « فاستمعوا له » يفيض عليك من البركة ، والخير ماينقلك لاحسان « الأنصات » .. أحب القرآن ، ووقره ، وأعظم شأنه ، يبح لك بأسراره ..

لقد ذكرنا من « آداب » أوقات العبادة طائفة صالحة .. وانما أردنا بها أن تعين العابد المجود على البحث ، ليستزيد منها ، لا أن يكتفى بها .. ونؤكد له : ان الدخول فى ممارستها ، واتقان مراعاتها ، يفتح أبواب الخير على مصاريعها .. فان موعود الله : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا .. وان الله لمع المحسنين» ..

هذا وعد غير مكذوب ..

وفى حين أن للعبادات وقتا ، فانه ليس للذكر وقت .. ويكفى هنا أن نقرر : أن العبادات ، وقتها الكبير ، انما هو « الحياة الدنيا » .. ولكن ليس للذكر وقت .. فأهل الدنيا ، فى الدنيا ، يذكرون الله .. واهل البرزخ ، فى البرزخ ، يذكرون الله .. وأهل الجنة ، فى الجنة ، يذكرون الله . . واهل النار ، فى النار ، يذكرون الله ، ولذلك فان هم العباد ، فى الدنيا ، أن تكون « عبادتهم » وسيلة الى « الذكر » .. ولقد ورد فى ثلاث الآيات ، التى سلف ذكرها ، قبل قليل ، قوله تعالى ، مخاطبا حبيبه : « واذكر ربك ، فى نفسك ، تضرعا ، وخيفة ، ودون الجهر من القول ، بالغدو ، والآصال ، ولاتكن من الغافلين » .. عندما قال : « ولا تكن من الغافلين » انما اشار الى اتصال الوقت بالذكر ، بلا انقطاع .. ثم قال : « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ، ويسبحونه ، وله يسجدون » أشار بقوله تعالى : « ان الذين عند ربك » ، الى « الملائكة » . . والملائكة ليس لهم ، من الذكر ، وقت فراغ .. وأشار بها أيضا الى « العبيد » .. و « العبيد » يحاولون ، دائما ، ألا يكون لهم ، عن الذكر ، وقت فراغ .. ذلك بان العبودية انما هى أن تكون مع الله كما هو معك .. وهيهات !! ثم قال : « وله يسجدون » والسجود هنا عبادة ، وعبودية ــ شريعة ، وحقيقة ــ وللعقول سجود العبادة ، وللقلوب سجود العبودية .. وسجود العقول منه رفع ، ولكن سجود القلوب لا رفع منه .. فاذا سجد القلب فانه لا يرفع أبدا ، ولا يرجع .. وانما قال تعالى : « واسجد ، واقترب .. » فى حق سجود العقل .. والغرض من هذه المساوقة فى السجود ، الغرض من السجود والرفع منه ، انما هو أن تسجد القلوب ، ثم لا يكون هناك رفع ، أبد الأبيد ..

خاتمة

صلوا !! فانكم لا تصلون .. هذا الحديث يساق الى كل المسلمين .. ويساق ،

بصورة خاصة ، الى الذين يعمرون منهم المساجد ، اليوم ، ويستشعرون الرضا عن أنفسهم .. صلوا !! فانكم الآن لا تصلون .. ولا تغرنكم هذه الحركات الآلية التى تؤدونها ، فانها لا روح فيها .. انها « جثة بلا روح » ، بدليل أن أخلاقكم ليست أخلاق المسلمين .. ولم يقل النبى الكريم : « الدين العبادة » .. وانما قال : « الدين المعاملة .. » .. وفى المعاملة الحسنة ـ المعاملة الاسلامية ـ العبادة موجودة .. لأن « الاخلاق الاسلامية » انما هى ثمرة « العبادة الاسلامية » .. ولكن قد تكون هناك عبادة بلا معاملة .. وهذه انما تعتبر عبادة باطلة .. ان صلاة المسلمين ، اليوم ، هى الصلاة التى قال عنها القرآن : « فويل للمصلين ❊ الذين هم عن صلاتهم ساهون ❊ الذين هم يراءون ❊ ويمنعون الماعون .. » ، سماهم « مصلين » لأن هيئتهم هيئة الصلاة ، وحركاتهم حركات الصلاه .. وتوعدهم « بالويل » لان « صلاتهم » بلا محتوى ، صلاتهم بلا روح .. والذى هم عنه ساهون فانما هى روح الصلاة فى الصلاة ـ انما هى صلاة « الصلة » فى صلاة «المعراج»ـ وقد شرحنا ذلك .. هم عن هذه ساهون .. ثم قال: «ويمنعون الماعون » ، أشار «بالماعون» هنا الى «القلوب» .. وعنى بقوله «ويمنعون» الماعون أنهم قدملأوا القلوب بأصنام الدنيا ، ومطامعها ، فلم يتركوا فيها مكانا لله .. ومن هذه الآيات جاء حديثان كريمان .. أما أحدهما فيكاد يكون فى مستوى وعيد الآية ، وهو : « رب مصل لم تزده صلاته من الله الا بعدا » .. وهذا ينطبق على صلاة بعض المصلين من الناس اليوم .. وأما ثانيهما فهو : « رب مصل لم يقم الصلاه » .. وهذا ينطبق على صلاة سائر الناس ، فى يومنا الحاضر ..

والحقيقة التى يحسن بالمسلمين ألا يذهلوا عنها ، هى : أن الاسلام ، اليوم ، انما هو فى المصحف فقط ، وانه قد مات فى صدور الرجال ، والنساء ، ويحتاج الى بعث .. وهناك حديثان ، أنذر بهما المعصوم هذه الامة فى أخريات أيامها ، قال فى أحدهما : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كتداعى الاكلة على القصعة .. قالوا : أومن قلة نحن ، يومئذ ، يارسول الله ؟؟ قال : بل أنتم ، يومئذ ، كثير ، ولكنكم

غثاء ، كغثاء السيل ، لا يبالى الله بكم !!» .. والغثاء هو « الدفيس » الذى يحمله السيل .. وأشار بقوله : « لا يبالى الله بكم » ، الى أنكم لا وزن لكم ، كالغثاء .. والناس لا يكون لهم وزن عند الله عندما تكون قلوبهم خالية من : « لا اله الا الله » لأن حديث النبى يقول : (مثقال ذرة من « لا اله الا الله » أثقل من جبل أحد) وحديثه الآخر : (لا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من « لا اله الا الله ») .. وحديث الانذار الآخر هو قوله : « لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا ، بشبر ، وذراعا ، بذراع ،حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه !! قالوا : أأليهود ، والنصارى ؟؟ قال : فمن ؟ » .. واتباعنا لسنن هؤلاء ظاهر لايحتاج الى اشارة .. فكأننا نحن المسلمين ، اليوم ، نذهب لله فى المسجد ، فى الأوقات ، ونصلى ، ولكننا لا نشعر بوجوده حين تعامل فى السوق .. حين تعامل بالربا ، ونكسب بوجوه الكسب المحظورة ، ونغش ، ونكذب ، وندلس ..

والحوادث ، والعبر ، التى توكد للمسلمين أنهم ليسوا على شيىء كثيرة ، ولكن أهمها مشكلة الشرق الاوسط مع اسرائيل ، فقد انهزم المسلمون فيها عام ١٩٤٨ ، وعام ١٩٥٦ ، وعام ١٩٦٧ ، ولا يزال شبح الهزيمة يتابعهم .. يقول الله تعالى : « الذين يتخذون الكافرين أولياء ، من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ؟؟ فان العزة لله جميعا » .. ويقول تعالى ، عن المنافقين : « يقولون : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل .. ولله العزة ، ولرسوله ، وللمؤمنين .. ولكن المنافقين لا يعلمون » ويقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا !! ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم » .. ويقول تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .. ذلك وعد الله ، وهو وعد غير مكذوب .. ومع ذلك فقد جعل الله لليهود على المسلمين سبيلا ، بل أكثر من سبيل .. فلم يبق الا أن المسلمين ليسوا على شيىء « تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى .. »

وفى حين أن النبى أنذر الأمة ، فى أخريات الايام ، فانه أيضا قد بشرها ، وذلك حيث قال : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا ، كما بدأ .. فطوبى للغرباء !!

قالوا : من الغرباء يارسول الله ؟؟ قال : الذين يحيون سنتى بعد اندثارها .. » وفى رواية أخرى ، عندما سألوه عن الغرباء ، فقالوا : من الغرباء يا رسول الله ؟؟ قال : « فئة قليلة مهتدية ، فى فئة كبيرة ضالة » ..

الصـــلاة مـــاتت !

ان الصلاة ميتة اليوم .. هى ، كما يؤديها الناس ، اليوم ، جثة بـــلا روح . والدعوة التى يقوم بها الجمهوريون ، اليوم ، ويلقون فى سبيلها ما يلقـــون ، انمـــا هى من أجل بعث الصلاة .. من أجل بعث : « لا اله الا الله » ، لتكون دافئة ، حية خلاقة ، فى قلوب الرجال ، والنساء ، كعهدنا بها حين خرجت من منجمها ، وانطلقت ، فى شعاب مكة ، فى مستهل القرن السابع الميلادى .. ولن تعود الصـــلاة حية الا اذا دخل فيها الفكر،فجددها .. وانما بدخول الفكر على العبادة يكون بعث «السنة».. وذلك ماعناه المعصوم حين قال : « الذين يحيون سنتى بعد اندثارها » .. ولقد بينا فى هذا الكتاب : كيف أن « السنة » فكر يحارب العادة .. هى فكر يأخذ بداياته فى بساطة شـــديدة ، وذلك بتقديم الميامن عـــلى المياسر ، فى العبادة ، وفى العـــادة .. وعودة الفكر الى الحياة ، والى الصلاة ، فى وقتنا الحاضر ، يمكن أن تكون فى مثل هذه البساطة .. وأول مانبدأ به ، هو أن نقرر أن الصلاة وسيلة ، وليست غاية .. وتقرير كون الصلاة وسيلة لا يحتاج منا الى تخريج ، أو تأويل .. ذلك بأن ظاهر نص القرآن صريح فيها .. ولقد تحدثنا عن ذلك فى موضع آخر مـــن هـــذا الكتاب .. فاذا كانت « وسيلة » فان أدنى الذكاء يطالبنا بأن ننظر فى عملنا : هل نحن متقدمون « بالوسيلة » نحو « الغاية » ، أم هـــل نحن نقف بها فى أول مراحلها ؟؟ ان المعصوم قد قال : « الصلاة معراج العبد الى ربـــه » .. و « المعراج » معناه « السلم » .. وأنت ، اذا كنت ذاهبا ، لغرض يخصـــك ، الى مكتب يقـــع فى الدور الثانى ، مـــن عمارة ، مثلا ، فانك ، بداهة ، لا تقف فى الدرجة الأولى ، مـــن درجات « السلم » الصاعد الى الدور الثانى .. هـــذا أمر لا يحتاج منـــك الى تفكـــير ، وانما تنطلق

رجلاك ، انطلاقا تلقائيا ، تصعد درجات « السلم » .. يجرى منك هـذا ، لأنـك تعرف الى أين أنت ذاهب ، ولا يمكن ، بحال مـن الأحوال ، أن تقف عند الدرجـة الأولى مـن السلم .. ومع ذلك ، فـان المسلمين ، اليوم ، مـن الناحية الروحية ، يقفون عند أول « السلم » ، ولا ينطلقون فى درجاته .. لماذا ؟؟ الجواب قـريب !! لأنهم ، روحيا ، لا يعرفون الى أين هـم ذاهبون !! فأصبحوا يتحركون فى حلقـة مفرغة ، كجمل العصارة ، يسير مغمض العينين .. يسير ، من غـير أن يقطع مسافة : وعن مذهبى ، لما استحبوا العمى ، على ❊ الهدى ، حسدا ، من عند أنفسهم ، ضلوا ، وهم فى السرى .. لم يبرحوا من مكانهم .. ❊ وماظعنوا فى السير عنه .. وقد كلوا ..

« الصلاة معراج العبد الى ربه » توجب علينا أن نصلى ، وأن نقيس صلاتنا .. هل نعرج بها كل لحظة الى الله ؟؟ وقياسنا هو مبلغ رضانا بالله .. هل نحن ، بعد أن صلينا ركعتين ، مثلا ، قد صرنا أوضى بالله منا قبل أن نصلى ؟؟ هل نحن أسخى يدا ، وأطيب نفسا ، وأسلم قلبا ، وأصفى فكرا ، بعد الصلاة ، منا ، قبل الصلاة ؟؟ فـان كنا كذلك فان صلاتنا مؤدية توسيلها الى الله .. وكـون الصلاة وسيلة الى الرضا بالله فقد ورد فى ظاهر النص فى قوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، ومـن آناء الليل ، فسـبح ، وأطـراف النهار .. لعلك ترضى » .. قوله ، هنا ، « وسبح » معناها « وصل » .. وقد جاء ، فى هذه الآية ، بأوقات الصـلاة الخمسـة .. « لعلك ترضى » .. « الرضا » هو « العلة » وراء الصلاة .. و « الرضا » هـو « العبودية » لله .. تكون له عبدا ، وترضى به ربا ، لا تعترض عـلى تدبيره اياك .. وهـذا هـو المعنى بالحديث : « الصلاة معراج العبد الى ربه » لان العروج الى الرب لا يكون بقطع المسـافة ، وانما هو بالعلم .. فاذا استعملت الصـلاة حتى عرفت ربـك ، وحتى تأدبت معـه بمـا يليق له ، فقد عرجت بالصلاة اليه .. ويجب أن يكـون واضحا فـان حكم « الوقت » قد جعل آيات « النفوس » أهم من آيات « الآفاق » .. ويجب أن يكون واضحا أيضا فان بركة الصلاة ، ان لم تشعر بها : رضا بال ، وطمأنينة نفس ، وصفاء

فكر ، فانها صلاة باطلة .. ولقد قال العارفون : ان الله أكرم من أن تعامله حاضرا ويعاملك نسيئة ـ تصلى له الآن ويأجرك فى الآخرة !! انه هو ، تبارك وتعالى ، يأمرنا ، فى شرعه ، أن ندفع للأجير أجره ، قبل أن يجف عرقه ، فكيف لا ننتظره أن يفعل بنا مثل هذا الصنيع ، على أيسر تقدير ؟؟ ألم يقل الله : « أدعونى استجب لكم ؟؟ » بلى !! انه قد قال .. أجر الله على الصلاة « هاك بهاك » .. فان لم يكن الأمر ، بالنسبة اليك كذلك ، فاعلم : انك ممن يصلون ولم يقيموا الصلاة : « رب مصل لم يقم الصلاة » .. وأنت ، ان كنت من العارفين بقدر نفسك ، المتواضعين ، فلا تستبعد ان تكون من الوارد فى حقهم الوعيد : « رب مصل لم تزده صلاته ، من الله ، الا بعدا » .. يقول ، جل من قائل : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له ، يوم القيامة ، كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك .. كفى بنفسك ، اليوم ، عليك حسيبا » .. كتابك هذا هو قلبك .. وكل خير تعمله يكتب فيه ، لتوه .. وكل شر تعمله يكتب فيه ، لتوه .. والقاعدة قول الله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا ، يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا ، يره » فان أنت صليت ركعتين ، مثلا ، نفلا ، ثم انصرفت من مصلاك ، وأنت لا تجد ، فى قلبك ، شيئا من « الرضا » أورثتك اياه هاتان الركعتان فلا يقومن ببالك أنهما مكتوبتان فى مكان آخر ، وتجد أجرك عليهما يوم القيامة .. ان الكتاب عندك ، فتش نفسك ، ولا تكن من الغافلين .. ألم يقل المعصوم : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ؟؟ ».

ان صلاة « المعراج » ـ الصلاة الشرعية ـ وسيلة الى صلاة « الصلة » .. فنحن انما لنا صلاتان : صلاة كبرى ، وهذه لم يكن جبريل حاضرا فرضيتها ، وانما فرضت على النبى وقد سقطت ، من بينه وبين ربه ، وساطة جبريل .. وأخبرنا عنها النبى فقال : « الصلاة صلة بين العبد وربه » .. وصلاة صغرى ، وهذه قد جاء جبريل بكيفيتها ، وأوقاتها .. وأخبرنا عنها النبى فقال : « الصلاة معراج العبد الى ربه » ولقد أمر تعالى النبى أن يعرج بصلاة « المعراج » الى صلاة « الصلة » .. قال تعالى فى حقه : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك .. عسى أن يبعثك ربك مقاما

محمودا !! » فصلى النبى صلاة معراجه يرتقى بها ، كل يوم ، الى صلاة الصلة .. وندبنا نحن لنصلى صلاة معراجنا ، لنسير بها ، كل يوم ، الى صلاة صلتنا .. وصلاة المعراج هى شريعته الخاصة به ، كنبى .. وهى شريعته لأمته ، كرسول .. يجىء من هذا الوضع أننا نصلى صلاة المعراج ، من حيث الهيئة ، كما يصليها ، غير أنه هو أصيل ، ونحن مقلدون .. ولقد جاءت عبارته لنا فى التقليد هكذا : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .. فاذا نحن استعملنا صلاة المعراج فى تقليد النبى باتقان ـ حركات أجسادنا ، وحالة قلوبنا ـ فاننا نعرج بها الى صلاة الصلة .. وبصلاة الصلة تتم العبودية .. وعند العبودية تسقط الواسطة ، ويقوم العبد فى مواجهة الرب ..

ان الذى نحن عليه اليوم هو أصل الدين ، وبفضل الله ، ثم بفضل حكم الوقت الحاضر ـ « القرن العشرين » ـ ليس هناك دين الا اياه .. ذلك بأن عودة الاسلام لا تكون الا فى مستوى حل مشكلة المجتمع الكوكبى المعاصر .. وقد ظهر عجز الفلسفات الاجتماعيات المعاصرة عن حل هذه المشكلة .. ومشكلة المجتمع الكوكبى المعاصر انما تتمثل فى احلال السلام فى الأرض .. ولا يحل السلام فى الارض الا اذا حل فى كل نفس بشرية .. وانما يستطيع الاسلام وحده أن يحل السلام ، فى كل نفس بشرية ، لان توكيده ، فى المكان الاول ، على كل فرد بشرى .. فى الاسلام ، الفرد البشرى هو مدار التكليف ، ومدار المسئولية ، وكل شىء عداه وسيلة اليه ، وبخاصة المجتمع .. وانما جاءته هذه المقدرة على التنسيق بين الفرد وللجماعة ـ الفرد غاية ، والمجتمع وسيلة ـ من كون تشريعه يقع على مستويين : مستوى الفرد ـ تشريع العبادة ـ ومستوى الجماعة ـ تشريع العادة (المعاملة) ـ والمحك الذى تقصر عنه جميع الفلسفات ، وجميع الاديان ، انما هو هذا المحك .. هو المقدرة على التوفيق بين حاجة الفرد ، وحاجة الجماعة .. ولما كنا نحن ، بفضل الله علينا ندعو الى عودة الاسلام ، فقد التزمنا باظهار هذه الحقيقة الكبرى .. وهى أن السالك ، المجود لتقليد النبى ، يبرز من مستوى الشريعة الجماعية ، الى مستوى الشريعة الفردية .. ويكون بذلك قد أفضى به التقليد الى الأصالة ..

ويعطى شريعته الفردية من الله ، كفاحا ، بلا واسطة النبى .. وقد بينا ، فى هذا الكتاب ، وفى غيره من كتبنا ، كيف أن النبى « وسيلة » الشريعة ، والله هو الذى « يعلم » الحقيقة ..

ان هذا الذى نقول به غريب على الناس .. ولكن ، ألم يكن « الاسلام » نفسه ، حين جاء للناس ، وهم فى غفلتهم ، غريبا عليهم .. ألم يطلع النبى الكريم عليهم ، يوما ، وهم فى فناء الكعبة ، فقال : « يا أيها الناس !! قولوا « لا اله الا الله » تفلحوا .. » ؟؟ فنفروا منه ، واستغربوا قوله ، حتى لقد جاء القرآن يحكى عنهم ، أنهم قالوا : « أجعل الآلهة الها واحدا ؟؟ ان هذا لشىء عجاب !! » اى شىء عجيب .. أى شيىء غريب .. والى هذه أشار النبى الكريم حين قال : « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا ، كما بدأ فطوبى للغرباء !! قالوا : من الغرباء يارسول الله ؟؟ قال : فئة قليلة مهتدية ، فى فئة كبيرة ضالة » .. وأنتم ، اليوم ، انما تستغربون قولنا لأنه يستمد من التوحيد ، فى مستوى جديد ، يليق بقامة المجتمع الكوكبى المعاصر .. وأنتم قد أصبح التوحيد غريبا عليكم ، حتى فى مستواه السلفى .. فاتقوا الله .. ولا تعجلوا أنفسكم عن « الحق » .. وكونوا أذكياء فاتهموا أنفسكم ، قبل أن تتهموا الآخرين .. واعلموا : أن الأرض اليوم تنتظر عودة الاسلام .. وليس لها من سبيل الى « السلام » الا « الاسلام » عائدا فى مستواه الذى ظلت جميع المجهودات البشرية ، حين كانت تستلهم الأرض ، وحين كانت تتصل بالسماء ، ظلت ، فى جميع حالاتها ، تعمل لمجيئه .. لا تكونوا عقبة فى سبيل « الاسلام » ، كما تفعلون ، اليوم ، بمعارضة دعوة « الخير » ، و « الحق » .. انما أنتم ، اليوم ، أعداء فى ثياب أصدقاء .. ولكن لا ضير !! فان الاسلام لا يعادى .. هو أكبر من الأعداء وقد تكفل الله بنصرته .. ألم يقل ، جل من قائل : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. وكفى بالله شهيدا » ؟؟ قوله : ـ « وكفى بالله شهيدا » ، هو مصدر راحتنا وطمأنينة بالنا .. فلا تهتموا الا بأنفسكم !! فانها ، ان كانت تهمكم حقا ، فكونوا أعوانا « للعلم » ،

ولا تكونوا له اعداء ، كما تفعلون اليوم ..

اسمعوا قولى هـذا !! فـان « شريعة الاسـلام » ، فى أصلها ، انما هى شريعة فردية .. وكل المسئوليه انما هى دائما فردية .. والقـرآن يركز عـلى الفردية ، تركيزا مستفيضا .. ولقد مثلنا لهذه الفردية فى العديد مـن كتبنا ، مما يغنى عـن الاعادة هنا .. فاننا نحن لم نقل ما قلناه بالرأى الفطير ، غير المؤدب بأدب الشريعة ، وأدب الحقيقة .. ولم نقل ما قلناه عن ظن ، ولا عـن شـك .. وانما هـو العلم الصراح .. فان المعصوم قد قال : « ان من العلم كهيئة المكنون ، لا يعلمه الا أهل العلم بالله .. فـاذا تحدثوا بـه لا ينكـره الا أهـل الغرة بالله » .. وانى لأعيذكم بالله أن تكونوا مـن أهـل الغـرة بالله .. وفى حـين كـانت شريعة الاسلام ، فى أصله ، « فردية » ، كانت شريعته ، فى الفرع ، « جماعية » .. وما الشريعة الجماعية الا « وسيلة » الى الشريعة الفردية ، وبقريب مـن المستوى الذى به الجماعة « وسيلة » لانجاب الفرد الكامل .. والذى يذهل الناس عن هذه الحقيقة هو ظنهم أن الفردية التى يتحدث عنها القرآن لا تكون الا يوم القيامة ، أخذا من مثل قوله ، جل من قائل : « ان كل من فى السموات ، والأرض ، الا آتى الرحمن عبدا ۞ لقد أحصاهم ، وعدهم عـدا ۞ وكلهم آتيه يوم القيامة فـردا .. » .. فعندهم ، من ههنا ، أن الفردية انما هى يوم القيامة .. ولكن اعلموا !! فان أسرار التوحيد تقول : « ما من شيىء كان ، أو يكون ، الا وهو كائن اليوم » .. فالقيامة قائمة اليوم .. ولكنا نحن مذهولون عنها بجهلنا ، وبتوزعنا فى الزمن .. ونحـن ، كلما علمنا ، وكلما جودنا التوحيد ، كلما وحدنا الزمن .. ولقد تحدثنا عـن هذا ، فى هذا الكتاب ، وذلك حين ذكرنا أن تحقيق العبودية انما هو محاولة انتصار على الزمن ، حتى اننا لنبلغ ، فى لحظة التوقف الفكرى ، فى مقام : « مازاغ البصر وما طغى » ، أن ننتصر على الزمان تماما .. ولقد قال ، جل مـن قائل ، فى عجزنا عـن رؤية « يوم القيامة » ، اليوم : « الهاكم التكاثر ۞ حتى زرتم المقابر ۞ كلا !! سوف تعلمون ۞ ثم كلا !! سوف تعلمون ۞ كلا !! لو تعلمون علم اليقين ۞ لترون الجحيم ۞ ثـم لترونها عين اليقين ۞ ثم لتسألن ، يومئذ ، عن النعيم » .. قوله « كلا !! لو تعلمون

علم اليقين * لترون الجحيم » يعنى أنه ما يحجبنا عن الرؤية الا جهلنا ، وعلمنا الناقص .. ولما كان العلم انما يبدأ فى الدنيا ، بالعبادة ، وما ترفع من الحجب ، ويزيد فى الآخرة ، بالموت ، وما يرفع من الحجب ، فانه قد قال : « ثم لترونها عين اليقين » فنحن نحصل « بالعبادة » ، و « بالموت المعنوى » ، الذى قال عنه المعصوم : « موتوا قبل أن تموتوا » ، نحصل علوم اليقين ، فى مستوى علم اليقين ، ومستوى علم عين اليقين ، ومستوى علم حق اليقين .. فمن الناس من يحصل هذه بالموت المعنوى ، حتى انه لا يفاجأ بشىء غريب عليه تماما ، حين يلم به الموت الحسى .. ولقد قيل ان الامام عليا بن أبى طالب ، قال مرة : « لو رفع الحجاب ما ازددت يقينا » يقول هذا لفرط اتقانه للموت المعنوى ..

نحن ، بشرية القرن العشرين !! نحن بشرية الثلث الاخير من ليل الدنيا !! ومعلومة قيمة الثلث الأخير من ليل اليوم : « ان ناشئة الليل هى أشد وطأ ، وأقوم قيلا » .. بنفس هذا القدر يجب أن نعلم قيمة الثلث الأخير من ليل الدنيا ، وقيمة البشرية التى تعيشه .. فهذه البشرية هى الموعودة بأن تملأ الأرض عدلا ، فى وقتها ، كما ملئت جورا .. وهى الموعودة بتحقيق جنة الارض ، فى الارض .. « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض ، نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين » .. هذه البشرية المعاصرة هى بشرية « اليوم الآخر » الذى من أجل تحقيقه أرسل الرسل ، وأنزلت الكتب ، وشرعت الشرائع ، فى جميع حقب هذه الحياة الدنيا .. والذى وارد ذكره فى القرآن كثيرا : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم ، عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .. هذه البشرية هى فى جاهلية ، اليوم .. ولكن جاهليتها هذه أعلم ، وأرفع ، وأكثر انسانية ، ولطافة ، من جاهلية القرن السابع ، من جاهلية الأصحاب ، بما لا يحتمل القياس ، ولا المقارنة .. فاذا عادت فيهم : « لا اله الا الله » ، جديدة ، دافئة ، قوية ، خلاقة ، كما كانت على عهد الأصحاب ، فان مستوى جديدا من البشرية سيظهر على هذه الارض ، وانما بظهوره

تملأ الارض عدلا ، كما ملئت جورا .. وهذه البشرية التى ستظهر ، فى هذا المستوى الانسانى الكبير ، بمحض فضل الله ، انما هم « اخوان النبى » الذين اشتاق اليهم، حين قال ، وهو بين أصحابه : « واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : أولسنا اخوانك يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم اصحابى !! واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : أو لسنا اخوانك يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم أصحابى !! واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : من اخوانك ؟؟ قال : قوم يجيئون فى آخر الزمان ، للعامل منهم أجر سبعين منكم .. قالوا : منا ، أم منهم ؟؟ قال : بل منكم !! قالوا : ولماذا ؟؟ قال : لانكم تجدون على الخير أعوانا ، ولا يجدون على الخير أعوانا » .. هذه البشرية التى سيجىء منها « الاخوان » ، رسولها « محمد »، وكتابها القرآن ، ودينها الاسلام .. وهى انما تبلغ هذا المبلغ من الرفعة ، وكرامة المقام ، بمحض الفضل .. يقول تعالى ، فى كل أولئك : « يسبح لله ما فى السموات ، وما فى الأرض ، الملك ، القدوس ، العزيز ، الحكيم * هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم .. وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .. ولقد تحدثنا عن كل أولئك بتفصيل شامل فى كتبنا وبخاصة فى : « الرسالة الثانية من الاسلام » .. فليراجع فى موضعه .. ولكن الذى يهمنا هنا ، فى ختام هذا الكتاب ، هو اننا نحن دعاة الصلاة .. ونحن دعاة بعث السنة .. والمبشرون بعودة الاسلام .. ونحن ، بفضل الله علينا ، نعرف طريقنا الى ما نقول .. فليس قولنا ظنا ، ولا هو اعتسافا بالرأى ، وانما هو صريح العلم .. ونحن لا نقول هذا افتخارا ، وانما نقوله لتوكيد حقيقة الناس فى حاجة الى توكيدها .. فنحن نريد للناس أن يصلوا .. واننا لعلى يقين تام أنهم ، اليوم ، لا يصلون ..

خـاتمة الخاتمـة

نختم كتابنا هذا بتوجه خالص الى كـل الناس ، ليصلوا .. فان قيمة الصلاة فى صحة الابدان ، والعقول ، والقلوب ، لا تعدلها قيمة ..

للعلماء ، والفنانين ، والمثقفين ، نقـول : ان الصلاة ليسـت عمـل البسـطاء ، والسذج ، والجهلة ، والعجائز ، والعاجزين ، وانما هى ، فى المكان الأول ، عمـل الأذكياء .. عمـل العلماء ، والفنانين ، والمثقفـين ..

الصلاة ، فى الاسلام ، لا تستمد من العقيدة ، وانما تستمد مـن العلم .. هى منهاج يتنقل فى الأوضاع المختلفة ، ليجمع مراحل التطور المختلفة ، فى سير الحياة ، على هذا الكوكب ، وقبل أن تنزل الى هذا الكوكب ..

لقد كانت الحياة ، ولا تزال ، تمـر بمراحـل ثلاث ، فى سلم تطورها ، ارتقـاء نحـو مصدرها :

١ ــ مرحلة التطـور العضوى ــ التطـور « الفزيولوجى » الصرف ــ وهـذه تشمل تطور المادة غـير العضوية ، والمادة العضوية ، قبيل ظهور العقول فى المستوى البشرى ..

٢ ــ مرحلة التطور العضوى العقلى ــ التطور « الفزيولوجى » ، المتأثر بالعقل البشرى ، والمؤثر فيه .. وهـذه تشمل المرحلة البشرية المعاصرة ــ مرحلة عقـول ، تؤثر فى الأجسـاد ، وتتأثر بها ، فى صراع وتجـاذب ..

٣ ــ مرحلة التطور العقلى ــ التطور الـذى تتعاون فيه العقـول ، والقلوب ، والاجساد ، فى مراحل الترقى ، بدون تعارض ، ولا تضاد .. وانما هو الانطـلاق الذى لا يعوقه معوق ، بعد أن تم التحالف ، والتناسق ، بـين الجسـد ، والعقل ، والقلب .. وهـذه المرحلة لا تـزال أمامنا .. وهى مرحلة الانسـانية التى تترقب ظهورها ، من البشرية المعاصرة ، وسيكون ظهورها قفزة أكبر مـن تلك القفزة التى صحبت ظهور البشرية المعاصرة من مرحلة الحيوانية التى تمثلها المرحلة الأولى ، من مراحل التطور ــ التطور « الفزيولوجى » ..

ان الصلاة ، فى الاسلام ، تستمد من هذه المراحل التطورية .. وهى تحاول أن تحقق للانسان المصلى بذكاء ، وبتجويد ، الكمالات التى تنتظر من يملك القدرة على توحيد جسده ، وعقله ، وقلبه ..

ان الصلاة فى الاسلام جلسة « نفسية » يعمل فيها العقل ، الذى شحذت ذكاءه العبادة ، عمل السحر فى تنغيم النشاز الداخلى ، حتى يسكن جيشان الخواطر الداخلية ، وتنحل العقد النفسية ، ويتم الاتساق بين جميع القوى المودعة فى البنية البشرية ـ فى الجسد ، وفى العقل ، وفى القلب ـ فتحل بذلك الوحدة محل الانقسام ، ويقوم السلام فى جميع أطراف البنية البشرية ..

ان فى الصلاة « الذكية » لعلاجا للأمراض العصبية ، والعقلية ، المتفشية اليوم .. ان فيها الصحة الداخلية ، والصحة الخارجية ..

للعلماء ، والفنانين ، والمثقفين ، والاذكياء ، نقول : صلوا !! فانكم بالصلاة أولى !! صلوا !! فانكم بالصلاة تحرزون الحياة الكاملة ، المتمثلة فى حياة الفكر ، وحياة الشعور .. ذلك لأن بالصلاة تتم وحدة الجسد ، والعقل ، والقلب .. صلوا !! وعلى منهاج هذا الكتاب !! وستحمدون سعيكم ، ان شاء الله ..

واما عامة المسلمين ، الذين « يصلون » اليوم ، ويعمرون المساجد ، فانا نقول لهم : « صلوا » !! فانكم ، « اليوم » ، « لا تصلون » .. ابعثوا صلاتكم !! فانها قد ماتت !! ولا يكون بعثها الا بارجاع الروح اليها !! واياكم أن تخدعوا « بالمظاهر » !! فان الصلاة جسد ، وروح يعمر الجسد ، ويبعث فيه الحركة ، والحرارة ، والحياة ..

وأما صلاتكم ، اليوم ، فليست « بصلاة » ، على الاطلاق .. وانما هى جسد ميت .. عودوا الى تقليد « قدوة التقليد » !! واجعلوا صلاتكم «وسيلة» الى الحياة النافعة ، لكم ، وللأحياء ، والأشياء .. واتركوا هذه الهمهمة بالسبح .. اجعلوا صلاتكم « وسيلة » الى « الفكر والعمل » .. فقد كان المعصوم يخلو بربه ، فى الثلث الأخير من الليل ، يصلى ، ويفكر ، ويستغفر ، ثم يصبح بالنهار فى خدمة الناس ، وابتغاء الخير لهم ، وتوصيل الهداية ، والصلاح ،

اليهم .. وهو قد قال : « تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة » ..

وقال تعالى ، فى قيمة العبادة كلها : « وأنزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم .. ولعلهم يتفكرون » فجعل القيمة ، من الدين كله ، « الفكر » .. « ولعلهم يتفكرون » .. وجعل الصلاة ، « وسيلة » الى « الرضا » .. « فاصبر على ما يقولون .. وسبح ، بحمد ربك ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح ، وأطراف النهار .. لعلك ترضى » .. « لعلك ترضى !! » .. و « الرضا » انما هو ثمرة « الفكر » الصافى ..

صلوا !! فانكم ، اليوم ، لا تصلون .. صلوا !! وابتغوا من الصلاة ما الصلاة حرية بتأديته اليكم من فيوضات البركات الناميات ، ولا تقنعوا منها بهذه المظاهر الجوفاء ..

لا تهمهموا بالسبح !! لا فى الخلوات ، ولا فى الطرقات ، ولا فى المكاتب ، ولا فى المركبات العامة ، فان « قدوة التقليد » لم يكن يهمهم بالسبح ، وانما كان يصلى ، ويفكر ، ويعمل .. قال : « أوصانى ربى بتسع ، أوصيكم بهن : أوصانى بالاخلاص ، فى السر ، والعلانية .. والعدل ، فى الرضا ، والغضب .. والقصد ، فى الغنى ، والفقر .. وأن أعفو عمن ظلمنى .. وأن أعطى من حرمنى .. وأن أصل من قطعنى .. وأن يكون صمتى فكرا .. ونطقى ذكرا .. ونظرى عبرة .. »

هكذا فكونوا !!

صلوا !! و « اذكروا الله ذكرا كثيرا » !! وفكروا !! واعتبروا !! واعملوا !! لخيركم ، ولخير الأحياء ، والأشياء !!

صلوا !!

وعلى هدى هذا « الكتاب » : « تعلموا كيف تصلون » فانه ، انما أخرج ليبعث لكم الصلاة ، بعد أن قد ماتت ..

ان هذا « الكتاب » عمل خالص منا لوجه الله .. والله ، هو المسئول ، أن يكمل اخلاصه لوجهه الكريم .. وأن يقبله منا .. وأن ينفع بنا .. وأن ينفعنا بما علمنا .. وأن يعلمنا « العلم » الذى لا جهل بعده .. انه سميع مجيب .. وهو نعم المولى !! ونعم النصير !!

الفهرســت

	صفحة
المقدمــة	٣
ثقافة العقل واليد	٩
البــاب الاول	
المدخــل	١٥
الانسان منقسم	١٩
رفــع الحجب	٢١
الصلاة وسيلة	٢٢
طريق العودة	٢٦
الفكــر	٣١
رياضة العقول	٣٣
مستويات التقوى والفرقان	٣٤
الفكر هو السنة	٣٧
الصلاة والصوم	٣٨

صفحة

الصلاة جلسة نفسية ٤٢

بين الاعتراف والاستغفار ٤٦

البـــاب الثانى

صل فانك الآن لا تصلى ٥٠

الوضـــوء ٥١

الصـــلاة ٥٦

اوقاتهـــا ٥٧

هيئة الصلاة ٦٠

حضرة السلام ٦٧

ادب الوقت ٧٣

خـــاتمة ٨٧

الصلاة ماتت ٩٠

خاتمة الخاتمة ٩٨